المقدمة

الحمد لله ذي القدرة والجلال، والعظمة والكمال، أحمده سبحانه علي سوابغ الإنعام، منَّ علينا سبحانه بأن أخرجنا من الظلمات إلي النور، ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾(١)،

وأصلي وأسلم علي سيدنا محمد المختار، وعلي آله الأبرار، وصحابته الأخيار

أما بعد

فقد أضحي مصطلح "التنوير" مصطلحاً تلوكه الألسنة، واشتهر في عالمنا العربي والإسلامي، وبما أن الحكم على الشيء فرع من تصوره، فإن الحكم على مفهوم التنوير يحتاج إلى إيضاح، كي لا يحدث تخبطاً في أذهان الناس وينخدعوا به.

ومما لا شك فيه أن مفهوم التنوير وفلسفة التنوير وكونه مشروعاً فكرياً له معالم كان من المفاهيم الوافدة علي العالم العربي و الإسلامي، فقد كان يمثل حركة عقلية أوربية رأت في العقل الوجود الحقيقي للإنسان، وسعت إلي تحرير الإنسان من قيود الكنيسة ووصاياها، وجعل الإنسان مكان الله، والعقل مكان الوحي، وكان هذا مما تمخض عن الصراع بين الكنيسة والعلم، فانتصر الفكر، وتقلصت سلطة الكنيسة، واستقل العلم عن

(١) المائدة آية ١٥

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

الدين، إذ العقل والعلم كانا يتصادمان مع نصوص الكتاب المقدس - المحرف - وتعاليم الكنيسة.

إذاً هو تيار فكري له ظروف لنشأته ومضمونه.

أما إذا انتقلنا إلي الإسلام فنجده يدعو إلي النور فالله نور، والقرآن نور، ومحمد نور والإسلام نور، فهو يدعو إلي تنوير ضد الظلام، وضد الجهل، فيقوم الإسلام علي الجمع بين الدين وبين العقل الإنساني السليم.

فالإسلام يرفض التنوير بمفهومه الغربي لكن في الوقت ذاته يدعو إلي التنوير بمفهومه الإسلامي، الذي يعني الوضوح في الدين، البعيد عن التعقيد والغموض في العقائد والتشريعات، ويقوم على إخراج الناس من الظلمات إلي النور، ويحترم العقل ويحث على إعماله؛ لأنه نور من الله ومن خلق الله، ولا تعارض في الإسلام بين نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وبين مقررات العقل السليم، والحقائق العلمية.

ويعمل التنوير الإسلامي على الترابط والتكامل بين الفطرة والعقل والوحي جميعاً، وكان التلاقي والاتفاق بين هذه الثلاثة دليل صدقها، والاختلاف بينها دليل الانحراف فيها أو في بعضها.

اذاً نحن أمام تنويرين: تنوير علماني أوربي النشأة والمضمون، وتنوير إسلامي قائم على الجمع بين النص الصحيح والعقل السلم.

ومدار البحث يدور حول هذا لذا جاء

بعنوان (التنوير الغربي والتنوير الإسلامي) دراسة مقارنة.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

حاولت فيه قدر المستطاع تتبع التنوير الغربي ونشأته ومعالمه وعلاقته بالعلمانية، ودعاة التنوير الغربي في العالم العربي والإسلامي، وبيان التنوير الإسلامي ومقوماته.

ولأهمية الموضوع وجدواه استعنت بالله للخوض فيه داعية الله التوفيق والقبول.

أسباب اختيار الموضوع:

كان لاختيار الموضوع أسباب عدة منها:

١- ما وجدته من انخداع البعض من بني جلدتنا بالتنوير الغربي، بل محاولة بثه ونشره في العالم العربي والإسلامي.

٢- ما رأيته من التلازم بين التيارين العلماني والتنويري فشعرت أن من واجبي كشف زيف هذا التيار ومعارضته مع المفهوم الإسلامي الصحيح.

٣- وددت بيان أن الإسلام يدعو إلي التنوير القائم على الدين الإسلامي يجمع بين نصوص الكتاب والسنة وبين مقررات العقل السليم، وبيان أن الإسلام يحض علي العلم النافع للبشرية الذي يضيء العقول، ويكشف أمامها الطريق نحو الخير والرشاد.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث استخدام عدة مناهج علمية لمعالجته.

١- **المنهج التاريخي "الاستردادي"**: فقد اعتمدت عليه في تتبع نشأة وظهور التنوير الغربي من جذوره وزمنه، ومعالمه.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

٢- **المنهج التحليلي**: واستخدمته في تحليل معالم ومقومات التنوير سواء الغربي أو الإسلامي.

٣- **المنهج النقدي**: استخدمته في توجيه النقد والاعتراضات على معالم التنوير الغربي، كذلك قمت بالرد على دعاة التنوير في العالم الإسلامي.

٤- **المنهج المقارن**: حيث قارنت بين أسباب نشأة ومضمون التنوير الغربي وبين نشأة ومضمون التنوير الإسلامي.

خطة البحث:

يحتوي البحث على مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة.

المقدمة: وتشتمل على أهمية البحث، وأسباب اختياره، ومنهج البحث، وخطته.

الفصل الأول: التنوير الغربي ومقوماته.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: معني التنوير الغربي ونشأته.

المبحث الثاني: مقومات التنوير الغربي.

الفصل الثاني: التنوير الغربي والعلمانية ودعاتهما في البيئة الإسلامية.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: العلاقة بين التنوير والعلمانية.

المبحث الثاني: دعاة التنوير الغربي في البيئة الإسلامية.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

الفصل الثالث: التنوير الإسلامي ومقوماته.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: مفهوم التنوير الإسلامي ومصدره

المبحث الثاني: مقومات التنوير الإسلامي.

الخاتمة: وتشتمل على أهم ما تمخض عنه البحث من نتائج.

هذا وأسال الله ﷻ أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يحفظني من الزلل في القول والعمل، إنه سميع قريب مجيب، وصلي الله وسلم علي محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

الفصل الأول: التنوير الغربي ومقوماته.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: معني التنوير الغربي ونشأته.

المبحث الثاني: مقومات التنوير الغربي.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

المبحث الأول

معني التنوير الغربي ونشأته

معنى التنوير الغربي:

مصطلح التنوير حديث النشأة وخصوصيته بحركة أوربية نشأ فيها، أشارت إلى ذلك المعاجم الحديثة في تعريفها لفلسفة التنوير، فقالت إنها " حركة فلسفية، في القرن الثامن عشر، تتميز بفكرة التقدم، والشك في التقاليد، ومعارضة الدين، والإيمان بالعقل، والدعوة إلى التفكير الذاتي، والحكم على أساس التجربة الشخصية، والتفاؤل بتأثير التعليم في الإصلاح الأخلاقي "(١).

والتنوير الغربي يقوم على أساس " أن العقل نور وأنه لا سلطان فوق سلطان العقل، وأن العقل قادر على إدراك قوانين الطبيعة فيؤدي إلى العلم، وأنه قادر أن يدرك حب الإنسان للحرية، وحرية الرأي والاعتقاد وصلته بالإنسان وبالمجتمع وبالتالي إنتاجه العلوم الإنسانية " (٢).

---

(١) المعجم الفلسفي : جميل صليبا (٢ / ٥١١) دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٨٢ ، المعجم الفلسفي الصادر من مجمع اللغة العربية ص ١٣٩ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٨٣.

(٢) تراثنا التنويري وضرورة التجديد : د / حسن حنفي ، مجلة الوعي المعاصر ص ٣٦ ، العدد ٨ ، ٩ سنة ٢٠٠٢ .

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

فمفهوم التنوير الغربي يراد به : عدم وجود سلطان على العقل من خارجه ، والعقل هو الذي يقود الإنسان إلى العلم والاعتقاد ، وشعار التنوير كما " عبر عنه "كانط" في مقال له بعنوان " جواب عن سؤال ما التنوير ؟ " جاء فيه :" أن شعار التنوير " كن جريئاً في إعمال عقلك " وفي عبارة أخرى يمكن القول بأن التنوير يعني ألا سلطان على العقل إلا العقل ذاته "(١).

فمدار التنوير الغربي يدور حول سلطان العقل الإنساني وحده وتحريره من كل السلطات، والعقائد التي تعيق استخدامه.

يقول د / حسن حنفي: " التنوير: تيار فلسفي عام يقوم على العقل والطبيعة والإنسان والحرية والمساواة والتقدم، وهي المفاهيم الرئيسية في عصر التنوير، وهو إخراج لعقلانية وتجريبية القرن السابع عشر من نظرية المعرفة إلى المجتمع والسياسة، لذلك قامت الثورة الفرنسية على مفاهيم التنوير، وقامت الأخلاق والسياسة على العقل الطبيعي من أجل إرساء قواعد الدين الطبيعي والأخلاق الطبيعية "(٢).

---

(١) ملاك الحقيقة المطلقة : مراد وهبة ص ١٠٨ مكتبة الأسرة عام ١٩٩٩

(٢) راجع مقال تطور الفكر الديني الغربي " الإنسان والله " د / حسن حنفي، الجمعية الفلسفية المصرية ص ١٨٢ السنة السابعة العدد السابع ١٩٩٨.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

التحديد الزمني لعصر التنوير الغربي:

إذا أردنا تحديد عصر التنوير نجد خلافاً بين المؤرخين "ومهما يكن من أمر هذا التباين فالرأي الشائع والمألوف أن القرن الثامن عشر هو عصر التنوير" [(١)].

وهذا القرن " شهد صعود موجة فلسفة التنوير، وتولي أعلام هذه الفلسفة من مثل: فولتير[(٢)] [١٧٣٤ – ١٧٧٨] وروسو [١٧١٢ – ١٧٧٨] حتى لقد سمي هذا القرن الثامن عشر بعصر التنوير "[(٣)].

(١) مدخل إلى التنوير د / مراد وهبة ص ١٨ دار العالم الثالث مصر ط ١ سنة ١٩٩٤ .

(٢) فولتير : (١٦٩٤ ـ ١٧٧٨) فيلسوف ومؤرخ وأديب أقام في إنجلترا ثلاث سنوات كتب فيها رسائل فلسفية، وعندما صدرت أمرت السلطة بإحراقها ـ اقتنع بالمذهب التجريبي على نحو ما هو عند بيكون ـ عارض بسكال المبشر بالمسيحية ومع ذلك كان يؤمن بالله ويدلل على وجوده بالعلة الغائية ويقول : " "عندما أرى ساعة يدل عقربها عن الزمن استنتج أن موجوداً عاقلاً رتب لوالبها لهذه الغاية، وكذلك حين أرى لوالب جسم إنساني استنتج أن موجوداً عاقلاً رتب هذه الأعضاء ، وأن العينين أعطيتا للرؤية ، واليدين للقيض ... إلخ " .. فكان يعارض الماديين في تفسيرهم للكون بقوانين المادة وتفسيرهم للأنواع الحية بالتوالد الذاتي وبالتطور على ما تشاء الصدفة، وكان يرفض التطور لأنه يشكك في أن تكون الأجناس التبشيرية نفسها وليدة تطور أصل واحد" تاريخ الفلسفة الحديثة ، ليوسف كرم ، الناشر مكتبة الدراسات الفلسفية ، ط . الخامسة ، ص : ١٨٨ ـ ١٨٩ .

(٣) الإسلام بين التنوير والتزوير : د / محمد عمارة ص ٢٢ .

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

نشأة التنوير الغربي:

" لعل كلمة التنوير التي تقابلها كلمة الظلام تمثل مفهوماً فضفاضاً ينطلق من الذهنية الفكرية التي تعيش وتنفتح على اجتهادات معينة فيما هو الفكر الظلامي والفكر التنويري فيعتبر فكره تنويرياً لأنه يرى فكراً آخر ظلامياً"(١).

ولقد كان " التنوير " الأوربي رفضاً للعصور " المظلمة " التي سادت أوربا عندما حكمتها البابوية باللاهوت الكنسي .. ولقد نظر هذا التنوير إلى " ظلام " تلك العصور باعتبارها " نازلة " و" كارثة " و" جملة معترضة " في طريق أوربا الفكري

فتقدم فلاسفته لطي هذه الصفحة، وإحلال التنوير محلها .. وعلى هذه الفلسفة التنويرية تأسس الإحياء الأوربي والنهضة الأوربية الحديثة .. جاء التنوير الأوربي فلسفة رافضة لتجاوز الكنيسة حدودها التي رسمها الإنجيل – خلاص الروح ومملكة السماء - .. ومدافعة عن " النزعة الدنيوية " (العلمانية) للفلسفة الأوربية .. وداعية إلى العقل الذي استعبدته الكنيسة، و" الرأي " الذي قهره اللاهوت، ومنادية بالتحرر من سلطة التقاليد الكنسية التي كانت سوقاً تجارية راجت فيها مفاسد القساوسة والباباوات !!

ففي مواجهة الفعل الذي تمثل في تحالف الكنيسة والإقطاع كان " رد الفعل " التنويري ، الذي أعلن رفضه لسلطان

---

(١) قضايا التنوير من منظور تأصيلي : محمد حسين فضل الله ، مجلة الوعي المعاصر ص ٩ عدد ٨ ، ٩ سنة ٢٠٠٢ .

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

الدين على الدنيا، ولتدخل السمائي في العمران الأرض، رافعاً شعاره القائل " لا سلطان على العقل إلا العقل "[1].

يقول د / محمود حمدي زقزوق :

"مفهوم التنوير يمثل حركة عقلية أوربية رأت في العقل الوجود الحقيقي للإنسان، وسعت إلى تحرير الحضارة من الوصايا الكنسية والنزعات الغيبية والخرافات، ودعت إلى التسامح وآمنت بتقدم الإنسانية عن طريق تشكيل الحياة على أسس طبيعية وعقلية وعن طريق البحث العلمي "[2] .

لقد نشأ التنوير الغربي الذي رفض ما هو خارج العقل الإنساني ورفض سلطان الدين رد فعل للظلام الغربي الذي ساد أوربا في العصور الوسطى، ذلك بتجاوز الباباوات عن الحدود التي في الإنجيل، والسيطرة على الفكر والعقل،

وحصر الفكر على الفكر الأرسطي الذي تبنته الكنيسة، فكان هناك رد فعل من قبل مفكري أوربا وذلك برفض ما تفرضه الكنيسة من أفكار، ونظر هؤلاء المفكرون إلى هذه العصور بأنها عصور مظلمة استُعبد فيها العقل فأرادوا التحرير برفض الدين الكنسي ولا سلطان إلا للعقل الإنساني. وعلي الجملة كان اهتمام فلاسفة التنوير بقضايا العالم الراهن، وليس العالم الآخر .. ولم

---

(١) الإسلام بين التنوير والتزوير : د / محمد عمارة ص ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ .

(٢) راجع مقال الإسلام والتنوير د / محمد حمدي زقزوق ص ٣٤ ، مجلة منبر الإسلام السنة ٥٨ العدد ١٢ ذو الحجة ١٤٢٠ مارس ٢٠٠٠ .

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
 Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

تكن مهمة التنوير الأساسية معرفة طبيعة الإنسان، وإنما تغير سلوك الإنسان على أسس عقلانية ومادية.[1]

فعندما يطلق مصطلح " التنوير " في الفكر الغربي فإنه يعني تلك الحركة الفكرية التي سادت أوربا في القرنين السابع عشر والثامن عشر، والتي مثلت ثورة باسم العلم والعقل والحرية والتسامح، رفع لواءها العلماء والمفكرون في مواجهة السلطة الدينية والزمنية المتمثلة في الكنيسة التي تبنت مواقف كهنوتية جامدة من العلم والفكر وتعقبت كل خارج على آرائها ومواقفها بالتنكيل والأذى، كما تجسد ذلك جلياً في العصور الوسطي المظلمة في أوربا.

تقول الدكتورة / زينب عبد العزيز: " عصر التنوير .... يمثل أعلي وأعنف ما وصل إليه الصراع الكنسي آنذاك في مشواره الطويل منذ تحريف المسيحية علي يدي بولس الرسول حتى القرن الثامن عشر. وإن كان هذا التيار قد بدأ بما عرف باسم " معركة القدامى والعصريين ..." في القرن السابع عشر فقد تصدع البنيان السياسي والأخلاقي والديني منذ ما عرف " بأزمة الضمير الأوربي "

فقد بدأ الفلاسفة برفض الحلول اللاهونية والسلطة التقليدية المتوارثة وراحوا يراجعون المفاهيم الأساسية المتعلقة بمصير

---

(١) السابق : صـ ٣٠ .

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

الإنسان وتنظيم المجتمع. إيماناً بالعقل الإنساني القادر على حل كل شيء وإيماناً بالتقدم العلمي ومنجزاته [١]

وقد ترتب علي هذا قيام المفكرين والفلاسفة بإخضاع النصوص المقدسة في نظر الكنيسة – والعقائد والأخلاق المسيحية ومؤسساتها الاجتماعية، للتحليل العلمي والنقد الدقيق، كما كان لانتشار نظرية النسبية[٢] أثرها في مراجعة تقييم الأفكار المسبقة عن الحرية والعدل والملكية وبالتالي انعكاسها علي نسبية القيم والأخلاق [٣].

وقد قاد هذه الحركة الفكرية التي ابتدأت في إنجلترا - علي نحو تقريبي – ثم انتقلت منها إلي فرنسا حيث بلغت ذروتها في الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ بمبادئها المعروفة في الحرية ، الاخاء ، المساواة ، ثم عمت أوربا كلها تقريباً كثير من العلماء والفلاسفة

---

(١) هدم الإسلام بالمصلحات المستوردة (الحداثة والأصولية) د/ زينب عبد العزيز صـ ١٥ – دار الأنصار لسنة ١٩٩٦ .

(٢) ترجع النظرية النسبية إلى أينشتاين وقد ألفها عام ١٩٠٥ م وتستند إلى المبدأ القائل أنه من المحال تعين حركة مطلقة عن طريق التجربة أياً كان نوعها وبالتالي انتفى فرض الأثير حتى مع افتراض وجوده فإنه يخلو من الأجزاء بحيث يضع التساؤل عما إذا كانت الأرض هنا أو هناك هو تساؤل بلا معنى . النظرية النسبية الخاصة تأليف الدكتور على مصطفى مشرفة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م ، ص ٢٧ .

(٣) نفس المصدر صـ ١٦ بتصرف يسير .

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

- في إنجلترا: فرنسيس بيكون[1] (١٥٦١ – ١٦٢٦).

- وفي فرنسا: فولتير (١٦٩٤ – ١٧٧٨).

- وفي ألمانيا: إيمانويل كانط[2] (١٧٢٤ – ١٨٠٤)

ولهذا فقد تمثل حركة التنوير الجهد الأكبر الذي اضطلع به فلاسفة عصر التنوير في محاربة الظلمات والتعتيم الذي كانت تفرضه الكنيسة . وراحوا يفسرون العقائد متهمين رجال الكنيسة بالطغيان والاستبداد وبخداع الشعوب . بذلك اتسمت أعمال التنوير بأنها حرب شعواء ضد الكهنوت ورجاله ، إذ راحوا يطالبون

---

(١) فرنسيس بيكون : (١٥٦١ م ـ ١٦٢٦ م) فيلسوف انجليزي تجريبي له رسالة بعنوان تقدم العلم ، وضع كتاباً باللاتينية سماه الأرجانون الجديد (اي المنطق الجديد) وهو الجزء الثاني من كتابه (الأحياء العظيم) أو العلامات الصادقة لتأويل الطبيعة، اشتهر بأنه وضع أسس المنطق الجديد الذي يتجاوز فيه منطق أرسطو _ مدخل جديد للفلسفة للدكتور مصطفي النشار ، ص : ١٢٩ ـ ١٣٠، الناشر دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ط . الأولى ١٩٩٨ م

(٢) كانط : فيلسوف ألماني كان متأثراً بنيوتن ونشر كتابه التاريخ العام للطبيعة ونظرية السماء ، ثم نشر رسالة يؤيد فيها ليبنتز. ثم قرأ لهيوم وكان يقول عن هيوم أنه أيقظه من سباته، وذلك بسبب أن هيوم كان يقول بمبدأ العلية ، فقد أنكر هيوم أن تكون العلاقة العلية ضرورية ضرورة منطقية وأعلن أن لها ضرورة ذاتية صادرة عن إدراك التلازم وتكراره ، ثم ذهب كانط إلى أن العقل عاجز عن إدراك الأشياء في حقيقتها وأسمائها فكان منكراً للغيبيات فيقول باستحالة العلم بوجود الله والنفس وأن الأخلاق تدور نحو الأسر المطلق . نشر رسالة يتناول فيها مفهوم التنوير جاء فيها : " كن جريئاً في أعمال عقلك" ـ كانط وفلسفته النظرية للدكتور / محمود زيدان، ص : ٢٧ ـ ٣٩ ، ط . الثالثة ١٩٧٩م ، الناشر دار المعارف ـ القاهرة .

بالتسامح وحرية العقيدة ، وبالعودة إلي الطبيعة ، كما برأوا الإنسان من تبعية الخطيئة الأولي التي فرضتها الكنيسة ، واستبدلوا البحث عن المتعة والسعادة الفردية بفكرة الخلاص والفداء ، وأقاموا حق الإنسان في المتعة طالما لا يمس سعادة الآخرين أو حريتهم، بدلاً مما فرضته الكنيسة من إدانة للعواطف ومعايشتها وفرضها للحرمان والتبتل[1]

ومن هنا يمكن القول : إن التنوير قد نشأ في الغرب مرتبطاً بعداء دفين ضد فكرة الدين والعقيدة الدينية، متمثلة في سلطة الكنيسة ورجال الدين مع تحالف الحكام والإقطاع وبناء عليه: فطغيان الكنيسة الغربية على ما كان يصحبه من قهر لإرادة الإنسان أدى إلى نشأت التنوير .

ومن هنا نجد أن هناك ظروفاً خاصة بالمجتمع الأوربي والديانة المسيحية وعصورها خاصة أدت إلى عدم الاعتراف بغير العقل فنشأ ما يسمى بالتنوير، وسمي عصر هذه المرحلة أوربي النشأة، وعصر محدد سمي بعصر التنوير لتميزه بمعالم فكرية محددة، هذه المعالم لهذا الفكر تهدف إلى الإلحاد والبعد عن الدين، ويحل الإنسان محل الله، وإنكار الغيبيات ونقد الدين، وتقرير أن العقل لا سلطان عليه من خارجه.

---

(١) هدم الإسلام بالمصطلحات المستوردة: د/ زينب عبد العزيز صد ٦ ، ١٧ .

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧ Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

ومن هنا من معرفة نشأة التنوير وعصره ومعالمه نصل إلى أن التنوير "نسق فكري أوربي النشأة والمضمون والإيحاء"[1] لا ينطبق على الفكر الإسلامي ، والتاريخ الإسلامي.

فإنكار الفلاسفة للدين الكنسي الذي تحكم فيه الباباوات والقساوسة، إنكارهم لهذا الظلام الفكري والعقدي يسمى ذلك تنويراً

فإن العصرية والحداثة والدعوة إلي العقلانية وتأويل النصوص وإعادة قراءتها من جديد بدعوى الحرية الفكرية والعقدية والتسامح مع المخالف.. الخ هي أبرز الأسس المنهجية التي يقوم عليها الفكر التنويري المعاصر.

خلاصة: ومما تقدم عن معنى التنوير ودلالته في الفكر الغربي ونشأته نستنتج عدة أمور :

١) أن التنوير يمثل نسقاً فكرياً ساد أوربا في القرنين السابع عشر والثامن عشر

٢) كان التنوير بدعوته إلي العلم والعقل والحرية ثورة علي الكنيسة وسلطتها الكهنونية المعادية للعقل والعلم.

---

(١) الإسلام بين التنوير والتزوير : د / محمد عمارة ص ١٩ .

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

المبحث الثاني

مقومات التنوير الغربي.

تجدر الإشارة إلى مقومات التنوير الغربي كي نصل إلى نتيجة وهي الإجابة عن سؤال يفرض نفسه: هل يمكن تطبيق مقومات التنوير الغربي – الذي نشأ لظروف معينة في عصر محدد – على الحضارة الإسلامية أو لا؟

ذلك لأن عصر التنوير "غدا عنواناً على نسق فكري ساد في مرحلة تاريخية محددة من مراحل تطور الفكر الغربي الحديث حتى يقال كثيراً – في تقسيم مراحل هذا الفكر – " عصر التنوير " وهذا مفكر من " عصر التنوير" وهذه نظرية من نظريات " عصر التنوير" [1].

وقد أشار د / محمد عمارة إلى مقومات التنوير الغربي من خلال مقولات دعاته في الثقافة الإسلامية، فذكر أن هذه المقومات كالتالي:

١ – أن الإنسان " حيوان طبيعي" اجتماعي، جزء من الطبيعة وأقرب إلى الحيوان منه إلى الله .. أي ليس مخلوقاً لله نفخ فيه من روحه ثم جعله خليفة له.

٢ – حصر الاهتمامات الإنسانية بقضايا العالم والطبيعة، لا العالم الآخر وما وراء الطبيعة.

---

(١) الإسلام بين التنوير والتزوير : د / محمد عمارة ص ١٩ .

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

٣ – تبني " الدين الطبيعي " الذي اخترعه العقل، لا " الدين السماوي " ورد الشعور الديني إلى الخوف الخرافي.

٤ – وتحرير العقل من سلطان الدين، ليكون سلطانه مطلقاً

٥ – إحلال العلم محل الميتافيزيقا، وإحلال التجربة الحسية محل المعرفة النقلية والوجدانية .

٦ – اعتبار الفكر وظيفة الدماغ، فالمادة مصدر الفكر، وليس هناك نفساً في الإنسان!

٧ – وجعل الإنسان هو " المطلق " بدلاً من الله والدين!

٨ – استنباط الأخلاق من الطبيعة الإنسانية لا من الدين، وجعل السعادة واللذة، وليس الفضائل الروحية، هي معيارها!

٩ – إحلال " الاجتماعية " محل " الدينية " سبيلاً للسعادة الدنيوية!

١٠ – ورد القوانين إلى أصول فيزيقية وتاريخية، لا إلى الشريعة الدينية وتحرير التاريخ من السنن الإلهية "(١)

هذه هي مقومات دعاة التنوير الغربي ذكرها د / عمارة مع تعليقات سريعة عليها، وتلك المقومات تتسم بنزعة مادية؛ ذلك لأن التنوير الغربي يقوم على أسس مادية عقلية بعيدة عن الدين، وكان

---

(١) التقدم والإصلاح بالتنوير الغربي ؟ أم بالتجديد الإسلامي: د / محمد عمارة ص ٢١ ، ٢٢ وانظر : مدخل إلى التنوير : مراد وهبة ص ٢٥ – ٧٠ .

موجهاً إلى الكنيسة في أوربا والكنيسة آنذاك هي الممثل للدين، وكان يهدف إلى استقلال الفكر.

رأينا فيما سبق أن فلسفة التنوير نشأت كرد فعلٍ للظروف التاريخية التي سبقتها فالكنيسة قد ضيقت على مسار الحرية العقلية والسياسية والاجتماعية على الناس وبخاصة الفلاسفة والمفكرين والنتيجة الحتمية والطبيعية أن تنشأ فلسفة تنادي بالحرية المطلقة والعقلانية اللامحدودة، بالإضافة إلى هجومها على الكنيسة، ومن ثم رفضها كل ما هو ديني.

من هنا جاءت فلسفة التنوير تحمل هذه المضامين.

إن فلسفة التنوير قامت في الفكر الغربي على عدة مبادئ من أهمها:

١ – تمجيد العقل (العقلانية) العقلانية المطلقة.

٢ – الحرية اللامحدودة.

٣ –(النظرة المادية) للحياة والإنسان وكل ما يرتبط به من رفض للدين .

أولاً: العقلانية المطلقة:

لا شك أن العقلانية هي أمر مطلوب وممدوح لأنه بها يتميز الإنسان عما سواه من الكائنات، لكن العقلانية في فلسفة التنوير عقلانية مفرطة، حيث إنها " هي الاتجاه التنويري الذي يثق في

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

الإنسان وقدراته، فيرفع كل وصاية عليه، ويتركه يبحث عن الحقيقة بلا سلطة تفرضها" (١).

وبإمكاننا أن نعتبر العقلانية المطلقة هي الركيزة الرئيسة في فلسفة التنوير، فإذا ذكرت كلمة التنوير، فأول ما يتبادر إلى الذهن أنها الفلسفة التي تتخذ العقل شعاراً لها.

يقول الدكتور / حسن حنفي : " التنوير ، الأنوار: تشير إلى أن العقل نور، وأنه لا سلطان فوق سلطان العقل وأن العقل قادرٌ على إدراك قوانين الطبيعة، فيؤدي إلى العلم، وأنه قادرٌ على أن يدرك حب الإنسان للحرية وحرية الرأي والاعتقاد" (٢).

وهذا الكلام يؤكد أن التنوير دعامته الأساسية هي العقلانية المطلقة، فالعقل هو السلطان الأعلى ولا سلطان فوقه. يقول الدكتور المسيري: "الفكر الاستناري فكر عقلاني يؤكد المرجعية الإنسانية ومركزية العقل الإنساني، فمصدر المعرفة الوحيد هو العقل (الذي لا يقبل إلا البديهيات الواضحة وما يتفق مع قواعد المنطق)، والحواس (التي لا تقبل إلا ما يُقاس)، والتجريب (الذي تخضع له كل الموجودات). وكل ما هو مطلوب من الإنسان العاقل (المزوّد بالعقل وبالحواس وبالمنطق والمعرفة المتراكمة التاريخية والعلمية)، أن يقوم عقله برفض أي حقائق

---

(١) فلسفة العلم في القرن العشرين، د/ يمنى طريف الخولي (ص١٢١)، عالم المعرفة، الكويت، ديسمبر ٢٠٠٠م.

(٢) مقال بعنوان: تراثنا التنويري وضرورة التجديد، د/حسن حنفي، مجلة الوعي المعاصر(ص٢٦) عدد ٨، ٩ ٢٠٠٢م.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

متجاوزة للواقع المادي المحسوس، مثل الأساطير والأوهام والغيبيات والتخيلات والحجج التقليدية والعقائد والمسلمات[(١)].

ولا شك أن هذه العقلانية المطلقة كانت بمثابة رد الفعل على التضييق الفكري الذي مارسته الكنيسة على كافة الأصعدة الفكرية والعقلية.

من هنا " قامت هذه الحركة الفكرية على أساس أولوية العقل باعتباره الحكم الأعلى، واطراد قوانين الطبيعة، واستبعاد تدخل أي قوة خارقة أو خارجية في مسارها وأصبحت للأفكار قوة وتأثير على تطور الوجود الاجتماعي، وأصبح العقل قادراً على القضاء على كل الأحكام المسبقة وعلى مظاهر الخرافة والجهل والتعصب، وأصبح الإنسان على ثقة تامة بأنه بعقله ونشاطه قادرٌ على الوصول إلى الكمال"[(٢)].

وهكذا أصبح العقل لا حدود له ولم يترك مجالاً إلا واقتحمه، حتى أصبح العقل مقياس الأشياء جميعاً، كما كان الإنسان مقياس الأشياء جميعاً في عصر السوفسطائيين .

" ومن هنا عرف عن هذا العصر أيضاً أنه عصر العقل، باعتبار أنه لم يعد هناك أي نشاط حضاري بمعزل عن العقل حتى الدين نفسه.

---

(١) كرة حركة الاستنارة وتناقضاته– عبد الوهاب المسيري: (ص:١٣)

(٢) ما هو التاريخ كارل إدوارد (ص ١٢٥)، ترجمة : ماهر كيالي، المؤسسة العربية، بيروت ١٩٨٠م

 Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

ولا غرو في هذا فقد اكتسبت عقلانية عصر التنوير صورة الحقيقة المطلقة"[1].

ومعنى اكتساب صورة الحقيقة المطلقة أن إدراكه قد تجاوز كل الحدود، فلم يعد إدراكه قاصراً على المعلومات المستقاة من الظواهر الحسية بل تعداه إلى ما وراء ذلك.

" حيث أكد ممثلو التنوير أن العقل سبيلنا إلى النفاذ إلى الحقيقة الكامنة وراء الظواهر"[2].

وما دام العقل قد وصل إلى هذه الدرجة في تصورهم، فليس هناك أي حاكم عليه، بل هو الذي أصبح حاكماً على كل شيء، لذلك كان أهم ما طرحه فلاسفة التنوير ومثقفوه هو هذا الإيمان القوي بالقدرة الهائلة للعقل.

إذ اعتقدوا أنه إذا كان في وسع الإنسان اكتشاف قوانين الكون...وأهمها على الإطلاق يومذاك قانون الجاذبية، فإن في مقدورها حتماً أن تكتشف قوانين الطبيعة والمجتمع والإنسان، ثم عن طريق العقل تنفتح آفاق تقدم المعرفة الإنسانية وإذا قام المجتمع على أساس عقلي هادف فإنه تتحقق له السعادة والرفاهية.

(١) الفلسفة بنظرة حضارية، د/ محمد مجدي الجزيري (ص ١٤٥)، بروفيشنال للإعلام والنشر، القاهرة (ط١ ١٩٨٤م).
(٢) تشكيل العقل الحديث، كرين برينتون (ص ١٦٢)، مرجع سابق.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

" فالنظام الاجتماعي الطبيعي المتوافق مع العقل في نظرهم هو النظام الذي يقوم على العدالة والمساواة بين المواطنين أمام القانون، وعلى تحقيق الحرية الشخصية"[(١)]

وفي سبيل تحقيق ذلك فإن " المطلوب من الإنسان العاقل المزود بالعقل والحواس والمنطق والمعرفة المتراكمة التاريخية والعلمية، أن يقوم عقله برفض أي معلومة متجاوزة للواقع المادي المحسوس مثل الأساطير والأوهام والغيبيات والتخيلات، والحجج التقليدية والعقائد والمسلمات "[(٢)].

ثانياً الحرية اللامحدودة:

الحق أن " قضية الحرية من القضايا المهمة التي أثارت وتثير حفيظة كل إنسان عاقل في أي مكانٍ وفي أي زمان، هذا من ناحية، ومن ناحية أخري، فإن الحرية من الشعارات البراقة التي ترفعها أي فلسفة وضعية إلحادية، أو أي دعوةٍ هدامة أرادت لنفسها التمكن والسيطرة والغلبة، ويرجع السبب في هذا إلى أمرين:

أولهما: لأهمية هذه القضية في ذاتها من جهة، وثانيهما من جهةٍ أخرى أهميتها بالنسبة للفرد والمجتمع"[(٣)].

---

(١) الفلسفة والإنسان ، د/فيصل عباس (ص١٨)، دار الفكر العربي ، بيروت، الطابعة الأولى ١٩٩٦م.

(٢) العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، د/ عبد الوهاب المسيري (١/ ٩١)، دار الشروق ، القاهرة، ط ٢٠٠٢م.

(٣) في الفلسفة العامة، نحو رؤيةٍ جديدة في ما وراء الطبيعة، د/علي أبو ملحم (ص ١١٢)، دار العلوم العربية، بيروت، ط١ ١٩٩١م.

ومن هنا كانت الحرية ركيزةً أساسية في فلسفة التنوير، حيث " جاء عصر التنوير في مصطلح الغرب لإعلان يوم الخلاص من مظاهر الاستبداد والتخلف لتصبح الحرية عنده هي عقيدته الجديدة في مقابل العسف والجور الديني المؤسس على مصادرة حرية الرأي وحرية التفكير، فالمتورون كانوا يهدفون إلى رفع الوصاية الواحدية وإسقاط قدسيتها وتجريد زعمائها من الهالة الكبيرة التي أحاطوا أنفسهم بها،

فالفكر عندهم يجب أن يكون حراً، إذ لا شيء مقدس، ولا شيء معصوم، وبذلك فإن التخلص من وصاية الواحدية المستبدة مدخل أساسي لفهم فكر عصر التنوير"[(١)].

ثالثاً: المادية ورفض الدين :

نظرة حركة التنوير المادية: يشير الدكتور المسيري إلي هذه النظرة: "آمن دعاة الاستنارة بأن الطبيعة لها قوانينها الثابتة المطردة المعقولة، وأنها كل مادي ثابت متجاوز للأجزاء له غرض وهدف، ولذا فهي مستودع القوانين المعرفية والأخلاقية والجمالية، وما دام الإنسان مرتبطاً بالطبيعة مهتدياً بهديها، فإنه سيصل إلى الطريق المستقيم ويصل إلى المنظومات المعرفية والأخلاقية التي تخدم صالحه وتحقق التقدم اللانهائي وتعمل على ضبط المجتمع وترشيد

---

(١) مجلة الوعي المعاصر، مقال بعنوان: الواحدية المستبدة وثورة التنوير، حسين أحمد شحادة (ص ٩٣، ٩٤) عدد ٨ ، ٩ السنة الثالثة ٢٠٠٢م.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧ Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

السلوك الإنساني، فظهر الإنسان الطبيعي والحقوق الطبيعية، والدين الطبيعي والأخلاق الطبيعية"[1]

فكل التيارات المادية تندرج تحت حركة التنوير في الغرب

موقف التنوير الغربي من الدين:

أولاً : (جون لوك) :

أشرت منذ قليل أن (جون لوك) لا يرى الدين ضرورة ولكنه يراه حرية شخصية، فلكل إنسان أن يعتنق أي دين أو لا يعتنق حسبما يمليه عليه هواه، " من هذا المبدأ انطلق الفيلسوف الإنجليزي (جون لوك)، والتي كانت أفكاره بمثابة الشرارة الأولى التي انطلقت منها حملات الخروج على الدين معارفه، فهو يرى أن الدين شيء فردي بسيط، حيث يقول : إن الدين فرديٌّ خاص استنبطه من ذاتي، ويستحيل على إنسان آخر في الدنيا أن يهديني في الدين صراطاً مستقيماً إذا لم تهدني نفسي" [2]

ثانياً : (فولتير):

من أبرز فلاسفة مفكري التنوير فولتير" فقد دعا إلى تمجيد العقل بديلاً عن قداسة الدين، وشن حملة شعواء ضد الدين والكنيسة، وأنكر عالم الغيب والبحث والجزاء الأخروي، وقال إن النفس ليست إلا حياة الجسم، وأنها تفنى بفنائه .. وليس هناك وحي

---

(١) . فكرة حركة الاستنارة وتناقضاته- عبد الوهاب المسيري:ص ١٦، ط١، طبعة نهضة مصر ، ١٩٩٨م

(٢) تاريخ الفلسفة ، د/ محمد عزيز نظمي سالم (ص ٢٢٤، ٢٢٥) مؤسسة شباب الجامعة ط أولى بدون تاريخ

مقدس سوى الطبيعة نفسها، وكتب كثيراً في نقد الدين، الذي اتخذه رجال الكنيسة وسيلة لإرباك أذهان الناس، واستخدمه الملوك لسلب أموالهم وجعل مقاييس الفضيلة في مدى ما تحققه من الخير الاجتماعي، قاطعاً العلاقة بينها وبين طاعة الله أو الثواب والعقاب بعد الموت "[1].

يرى فولتير أن معظم العقائد في الأديان هي نسيجٌ من الأساطير، ووضع الجماعات الدينية الأولى، ويطبق ذلك على المسيحية وعلى الديانات الأخرى على السواء" [2].

وكل العقائد سواء في المسيحية أو في غيرها هي من نسج الأساطير ووحي الخيال حسبما قال فولتير.

إذا ما كان هذا الكلام مقبولاً في حق العقائد المسيحية كالتثليث والصلب والفداء وألوهية المسيح، فإنه لا يقبل بأي حال من الأحوال على الرسالة الإلهية التي أوحى الله بها إلى سيدنا محمدﷺ لأن العقائد في هذه الرسالة موحى بها من الله ومحفوظة من التحريف.

وفي حديثه عن ألوهية المسيح " يؤكد فواتير أن ألوهية المسيح من خلق الجماعة المسيحية الأولى، ومن تقنين الكنيسة ومن قرارات الباباوات، مع أن آباء الكنيسة الأولى في القرون الثلاثة الأولى لم يؤلهوا المسيح واعتبروه مجرد إنسان" [3]

---

(١) المصدر السابق ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) قضايا معاصرة في الفكر الغربي المعاصر د/ حسن حنفي (ص ٩٤).

(٣) في الفكر الغربي المعاصر، د/ حسن حنفي (ص ٩٥).

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧ Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

ويظهر لنا من هذا الكلام أن فولتير كان موقفه إيجابياً نقدياً من العقائد المسيحية، وقد اعتمد في هذا النقد أساساً على العقل، والنقد هنا موجه لديانة سماوية محرفة. ولعقائد فاسده. ولكتاب سماوي محرف.

وعن هذه المحاور السابقة – العقلانية ، الحرية المطلقة ، المادية والموقف من الدين - نتجت باقي النظريات والقيم التي يجعلها مؤرخو الفكر أعمدة التنوير الفكرية وهي: العلمانية، الحرية، المساواة، الديمقراطية، التقدم، التاريخية، الوضعية، واللادينية، مع التنبه للطبيعة الطيفية لعلاقة هذه المفاهيم بفكر كل فيلسوف على حدة، فلا يلزم اجتماعها في واحد منهم ولا يلزم وجودها في كل واحد منهم أو وجودها بنفس القوة [1]

---

(١) خارطة التنوير من التنوير الغربي إلى التنوير الإسلامي- أحمد سالم- مجلة البيان.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

الفصل الثاني

التنوير الغربي والعلمانية ودعاتهما في البيئة الإسلامية.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول:

العلاقة بين التنوير والعلمانية.

المبحث الثاني:

دعاة التنوير الغربي في البيئة الإسلامية.

المبحث الأول

العلاقة بين التنوير والعلمانية

سبق الحديث عن نشأة حركة التنوير الغربي، وكيف أصبح العقل الغربي يستبعد الدين – النصراني واليهودي- من صلته بالحياة.

هذا النسق الفكري في نظرته إلى الدين والحياة والإنسان، بعيداً عن القيود الكهنوتية، وصولاً إلى تغيير المجتمع والعالم كله، والتي جعلت من القرن الثامن عشر في أوربا تتمحور حول الفكرة الأساسية لعصر التنوير وهي " الاعتقاد بأن البشر جميعاً يمكنهم أن يبلغوا على هذه الأرض قدراً من الكمال."[1]

وقد استندت هذه الفكرة إلى دعامتين أساسيتين ساهمتا في جعلها في حيز الإمكان بحسب التصور الأوربي: الدعامة الأولي الطبيعة، والدعامة الثانية العقل.

وقد بدا للأوربيين أنه يمكن إخضاع الطبيعة لسيطرة الإنسان من خلال محاولة تفسير ظواهرها بقوانين الفيزياء التي كان لإسحاق نيوتن فضل كبير في اكتشاف أعظمها وأكثرها تأثيراً في هذا العصر.

وأكد دعاة التنوير " أن العقل سبيلنا للنفاذ إلى الحقيقة الكامنة وراء الظواهر. فبدون العقل، أو حتى بالعقل بمعناه الخاطئ كما تصوره الحس السليم وساد قروناً، سنصدق أن الشمس " تشرق

---

١) في الفكر الغربي المعاصر، د/ حسن حنفي : صد ١١٥


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

" وتغرب " حقاً وفعلاً. بينما بالعقل ندرك علاقة الأرض بالشمس علي وجهها الصحيح . وبالمثل فإننا إذا ما استعنا بالعقل في العلاقات البشرية فإنه سيوضح لنا أن الملوك ليسوا آباء شعوبهم ، وأن اللحم إذا صلح أكله يوم الخميس فهو كذلك صالح ليوم الجمعة ، وسيكون العقل أداتنا للاهتداء إلي المؤسسات البشرية والعلاقات الإنسانية " الطبيعية " وما أن نهتدي إلي هذه المؤسسات أو العلاقات حتى نتمشى معها ونسعد بها . وسيكشف العقل عنا غشاوة الخرافات والخوارق وغير ذلك من أمور تتنافي معه وتراكمت عبر القرون علي ظهر الأرض ، واعتبرها العقلانيون : الشياطين الحقيقيين .[1]

ومعنى هذا ، وانطلاقاً من هذا الارتباط بين التنوير والعلمانية والذي يعني ضرورة إخضاع كل الظواهر الطبيعية والكونية حتى الدين نفسه لسلطان العقل بغية الوصول إلي التغيير الهادف لتحقيق كمال الإنسان وسعادته ، أن يتم تأخير كل سلطة أخري وبخاصة سلطة الدين الذي تمثله الكنيسة ، التي انحصر دورها " في مجال الحياة الجوانية للفرد " .[2]

وعلي الجملة كانت دعوة التنويريين إلى تقديم العقل والمصلحة علي كل ما عداها ، وهو ما يستلزم ضرورة الفصل بين كل ما هو مقدس وبين ما هو علماني يتصل بالوجود الطبيعي

---

(١) تشكيل العقل الحديث : كرين برينتون صـ ١١٧

(٢) مدخل إلي التنوير :د/ مراد وهبة : صـ١٨٩ بتصرف، مجلة اليقظة العربية عدد مارس ١٩٩٠– صـ ٨٦ .

والإنساني مما له بعد في الزمان والتاريخ وبعبارة أخري " التفكير في النسبي بما هو نسبي وليس بما هو مطلق، وهو ما يعني عدم الوقوع في وهم امتلاك حقيقة مطلقه تتجسد في الواقع، ويمتنع مع هذا التجسيد أن يكون للعقل سلطان علي ذاته .. العلمانية إذن ملازمة للتنوير " [1].

فكان التنوير في أوربا دعوة إلى سيادة العقل في مجالات الحياة المختلفة " فللعقل في نظر أصحاب عصر التنوير الحق في الإشراف على كل اتجاهات الحياة. وما فيها من سياسية وقانون ودين والإنسانية " هي هدف الحياة للجميع. وليس الله أو المجتمع الخاص أو الدولة الخاصة ". [2]

ونتج عن هذا وضوح الصلة بين التنوير والعلمانية، التي تسعي إلى عزل الدين عن مجالات التوجيه وإحلال العقل محله، وطلب سيادته على أحداث الحياة واتجاهاتها. [3]

ومن الأمور الجديرة بالاهتمام أن أول دخول لكلمة " العَلمانية " إلى القواميس العربية في العصر الحديث، كان عن طريق

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي :د/ محمد البهي صـ ٢٥٢ ط / مكتبة وهبة – الثالثة عشرة سنة ١٩٩٧ .

(٢) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي :د/ محمد البهي صـ ٢٥٢ ط / مكتبة وهبة – الثالثة عشرة سنة ١٩٩٧ .

(٣) المصدر السابق صـ ٢٥٣ .

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

أحد هؤلاء النصارى الذين رحلوا مع الحملة الفرنسية وهو "إلياس بقطر" ، الذي رحل مع الحملة الفرنسية ،

وكان يدرس العامية المصرية للفرنسيين في مدرسة اللغات الحية بباريس . حيث جاء في معني كلمة " عالماني " في القاموس العربي الفرنسي الذي وضعه إلياس بقطر سنة ١٨٢٨م : عالماني : laique, qminest point ecclesiastiqueni religieux أي الذي لا يعطي أدني اهتمام لكل ما هو لا هوتي أو ديني . عالمانية : etatdeseculir = Secularite أي الذي يعيش في عصره : Seculier [١]

(٢) ألقت الحملة بأول مظاهر العلمانية وعدم الاكتراث بالدين والقيم والتقاليد ، حيث كان الإطار العام الذي عملت فيه الحملة هو إشاعة روح التحلل والتحرر من العادات والتقاليد التي كان يلتزم بها الشعب المصري كشعب يدين غالبيته العظمي بالإسلام . فالجبرتي – شاهد ذلك العصر – يصف الفرنسيين بأنهم " يحكمون العقل ، ولا يتدينون بدين" [٢] ويبدو أن هذه العبارات هي التي وجد فيها دعاة التنوير العلماني من المثقفين العرب بغيتهم ، فمجدوا في هذه الحملة هذا السعي الحثيث نحو التنوير الذي تجسدت مظاهرة

---

(١) ينظر : جذور العلمانية د/ أحمد السيد فرج صـ ١٣٧ ، ١٣٨.

(٢) عجائب الآثار في التراجم والأخبار : الجبرتي : جـ٢ / صـ ٣٥٩

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

في تحلل بعض النساء ،وانتشار بيوت الدعارة البغاء، وانتشار الخمارات والمراقص .. الخ .

ولهذا لا يجد الباحث سوي أن يردد قوله تعالي ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ .[1]

والمسلمون – بحمد الله – في غني عن هذه العقلانية التي تجعل الإنسان عبداً للمادة ، والطبيعة ، والعقل ،وتعزله عن معارج كما له وسموه التي يضمنها له الوحي المعصوم في دنياه وأخراه ، على الرغم من تمجيد الإسلام للعقل وأنه ما يميز به الكائن الإنساني عن بقية الكائنات إلا أنه يقف عند أمور لا يستطيع تناولها إلا عن طريق الوحي .

يقول الدكتور / مراد هوفمان في تحليله لنتيجة الصراع بين العلمانية والكنيسة في أوربا :

" أدى التحرر من سيطرة الكنيسة على البشر كنتيجة لعملية التنوير ، إلى تهميش دور الدين . لقد احتل الإنسان الفرد مكانة الله بحسبان أنه هو الإنسان الفرد مقياس ومعيار كل شيء . لقد تمادي الإنسان في تقدير ذاته حتى أصبح الوثن الجديد لهذا العصر ......

(١) الآية الكريمة من سورة الجاثية : الآية رقم (٢٣).

 Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

وفي اللحظة التي أصبح فيها " الله "مجرد إسقاط لرغبات البشر ، أصبح المجال مهيئاً لتأليه الإنسان في صوره المختلفة ، سواء كان ذلك بتأليه الجماعة في الدولة "الماركسية ، الاشتراكية ، الفاشية" أو تأليه الفرد "الفردية – الليبرالية ، الرأسمالية ، النزعة النفسية" .

وإذن فالنتيجة التي يريد أن يصل إليها دعاة التنوير العلماني في عالمنا العربي والإسلامي ممن يقبلون بالثنائية بين الدين والدولة ، هي أن يصبح الدين أمراً شخصياً يسجن في ضمير المسلم أو في المسجد؛ تمهيداً للتخلص منه نهائياً حتى وإن أعلنوا تمسكهم به نظرياً، كما هو في مرحلة العلمانية المعتدلة ــ أما المرحلة المتطرفة فهي تعني إبادة الدين بالكلية كما هو في الماركسية .

ونستطيع القول : إن هذه النتيجة قد تحققت بالفعل من خلال الفكر الماركسي المادي ، الذي حاول بعض دعاة التنوير العلماني تطبيقه على الفكر الإسلامي ؛ لتفريغه من محتواه الإلهي وتفسير عقائد الإسلام وشرائعه، بل الوحي كله تفسيراً مادياً في ضوء ما يؤمنون من أفكار تؤله الإنسان وتجعله محور الكون والحياة ، حتى وجدنا دعوتهم السافرة إلى قبول العلمانية والإلحاد ، على أنهما يمثلان جوهر الدين وحقيقة الإيمان الذي يتغيا مصلحة الإنسان ، سواء في تحرير الأرض أو توفير الخبز .. الخ وبهذا يصبح الدين بمحتواه الإلهي إسقاطاً لرغبات البشر، ومن ثم يجرد من قدسيته وإطلاقه، وهو نفس ما انتهي إليه الأمر في الغرب العلماني حيث سادت النزعات المادية الإلحادية.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

ولما كانت هناك دراسات كثيرة قد تصدت لهذا الفكر العلماني وتفنيد شبهاته، وبيان حقيقة موقف الإسلام منه، فإننا نكتفي في هذا المقام بالتركيز على النقاط الآتية: -

أولاً: أن الإسلام لا يصادر على عقل الإنسان ولا يحول بينه وبين تحقيق آماله ومطامحه التي يستقيم بها وجوده في الحياة، بل إن الأمر قد يصل إلى الأمر بذلك كما في قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [1]، وقوله ﷺ: «احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز .. الحديث ».[2]

كل هذا في الأمور الدنيوية التي لم يتعرض لها الوحي بالتشريع أو بيان أحكام خاصة، كما في مسألة الشورى، أو نظم المعاملات الحديثة، أو بعض الفروع العلمية ومنجزاتها في مجال التطبيق ، أو غير ذلك مما يدخل في دائرة الاجتهاد ، ما دام الأمر لا يخرج في النهاية عن المقاصد الشرعية والمرجعية العليا التي يحتكم لها الفرد والمجتمع على السواء ، ومن ثم فالمجتمع الإسلامي ليس في حاجة إلى الفكرة العلمانية ؛ لأن أسباب وجودها من الثورة على الكنيسة[3] غير موجودة في الإسلام أصلاً على نحو ما أوضحنا.

---

(١) سورة الملك الآية : (١٥) .

(٢) سنن ابن ماجه – باب القدر – جـ١ صـ ٣١ رقم (٧٩) تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى ، ط/ دار الفكر بيروت – بدون .

(٣) أسرار الكنيسة : (المعمورية ــ الميرون " التثبيت " ــ التوبة والاعتراف ــ الإفخارسيتيا ـ مسحة المرضى ـ الزيجة " الزواج " ـ الكهنوت) ، أسرار الكنيسة السبعة للقس أنطونيوس فكري ـ سلسلة الدراسات الكتابية الجزء من ١ ـ ٦

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

ثانياً: يخلط كثير من العلمانيين بين الحكومة الدينية والحكم الإسلامي، ربما من باب الجهل، وربما من باب التدليس وقصد التعمية على جماهير المسلمين. فإن العلمانيين يعلمون تماماً أن هناك فرقاً كبيراً بين الحكومة الدينية، والحكم بالإسلام، ربما أكثر مما يعلم غيرهم.

إن جهل التنويريين العرب بالإسلام من ناحية، وافتتانهم بالغرب من ناحية أخرى، جعلهم يتصورون أن العلمانية يمكن أن تجد لها مكاناً في بلاد الإسلام، متغافلين عن الحقيقة الواضحة هي أن العلمانية كانت حلاً للمشكلات التي وجدت في بيئتها، أما الإسلام فلم يعرف هذه المشكلات ومن ثم فلا مجال للعلمانية في أرض الإسلام. وكما يقول د محمد البهي: "العلمانية.. ليس لها مكان في وجود الإنسان مع الإسلام. فإما أن يوجد الإسلام ولا علمانية، أو يوجد العلمانية ولا إسلام ". [1]

وهذا كلام في غاية الدقة ويلخص القضية تلخيص الخبير بها ، فلما لم يوجد الإسلام في الغرب كانت لهم مشكلات مع العقل والعلم والحرية والمساواة والتسامح .. الخ .

ومن ثم بحثوا عن حلول لهذه المشكلات وتصوروا حلولاً لها من خلال فلسفة التنوير العلماني التي تمجد العقل البشري وتؤلهه ، وتعزله عن الدين ، أما الإسلام فقد جاء بتنوير إلهي فيه السعادة بشموله للدنيا والآخرة وموازنته بين المادة والروح ، فالإنسان صنعة

---

(١) الإسلام والعلمانية . د / البهي – صد ١٥ بتصرف يسير .

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

الله ﷻ ، والله أعلم بما يصلحه ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾.[(١)] وصدق الله العظيم ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ .[(٢)]

---

(١) سورة الملك الآية (١٤) .

(٢) سورة الحج الآية (٤٦) .

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

المبحث الثاني

دعاة التنوير الغربي في البيئة الإسلامية

مما هو معروف لدارسي الفكر الإسلامي الحديث، أن بعضاً من مفكري العرب والمسلمين انبهروا بالفكر الغربي والحضارة الغربية في ظل الغزو الفكري "وتحت سطو الحضارة الغربية كان هذا المصطلح (التنوير) من جملة ما تم تصديره إلي العلم الإسلامي، وتفاوتت عملية التأثر به وبمضامينه، واختلفت أغوارها وأبعادها، فكما أن هناك من تحمل خلفياته الإلحادية وتصوراته المادية البحتة وموقفه من الدين" (١)

وقد استعمل مصطلح "التنوير" في الفكر العربي الحديث والمعاصر للدلالة على النهضة، على غرار التنوير في أوروبا. وقد حمل هذا المفهوم منذ البداية أبعادا إيديولوجية غربية، إذ أنَّ من رفع لواءه من المفكرين العرب كانوا منبهرين بالنموذج الغربي في التقدم والتحضر، وفي الموقف من الدين، ومن الآخر المتخلف، وفي رؤية الوجود والإنسان والحياة والمصير.

ولعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا في ضوء ما قدمناه في الفكر التنويري الغربي، إن المدرسة التنويرية المعاصرة هي مدرسة تقديس العقل وتأليهه. فقد استلهم التنويريون العرب تراث فلاسفة التنوير الغربي، وحاولوا أن يقيموا في الإسلام عصر نهضة يماثل عصر النهضة الأوربية بعد أكثر من أربعمائة سنة، ناسين أو

---

(١) راجع : التنوير الإسلامي في المشهد السعودي : عبد الوهاب بن عبدالله آل غطيف ، ص ١٢، مركز التأصيل للبحوث والدراسات ط١ ، ٢٠١٣م

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧ Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

متناسين أن الإسلام لم يعرف يوماً التعصب أو الكهنوت المتسلط، الذي قام العقل الأوربي في مواجهته والثورة عليه، معلناً التمسك بقيم التنوير في الحرية في إعمال العقل والعدالة، والمساواة .. الخ وبرغم أن التنوير الأوربي يظل رغم منافحة المنافحين عنه في عالمنا العربي والإسلامي، تنويراً أوربياً فحسب؛ حيث لا يسمح بتطبيق مبادئه خارج البيئة التي ظهر فيها، بدليل أن ما انتقل إلى العالم الإسلامي من مبادئ هذا التنوير ظل على الدوام رهناً برؤية من يطبقه ويدعو إليه من الدول الاستعمارية الكبرى أو من ترعاهم وترسم لهم خطط العمل داخل المجتمعات العربية والإسلامية.

ومع هذا وبرغم هذه الحقيقة التاريخية [1] ، إلا أننا لازلنا نجد بين أظهرنا من يعلن أن سبيل التقدم والنهوض للعالم الإسلامي هو بتمثيل قيم التنوير الأوربي وعلى رأسها تقديس العقل والجرأة في إعماله في كل القضايا كما هي رؤية "كانط" للتنوير. يقول الدكتور / عاطف العراقي : " لن نسلك طريقة الصواب إلا إذا اعتقدنا بالنظرة المتفتحة وبالنظرة التي تقوم على تقديس العقل ، أشرف ما خلق الله في الإنسان ، وبحيث نجعله معياراً لحياتنا الفكرية والاجتماعية ، وحتى يصبح عالمنا العربي وكأنه قطعة من أوربا التي تعد معبرة عن السلوك الحضاري المتطور ..".[2]

---

(١) يراجع مجلة الوعى المعاصر – مرجع سابق – صـ ٤١ .

(٢) ابن رشد ومستقبل الثقافة العربية – بحث للدكتور / عاطف العراقي – ضمن كتاب لابن رشد والتنوير – صـ ٢٥٠ .

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

إن المعيار الذي يسعى التنويريون العرب إلى تحكيمه هو العقل، الذي أحله الغرب محل النقل وسلطة الكنيسة، ومن ثم ترقوا في مدارج التقدم والكمال – بزعمهم- ولهذا يطلبون من العرب والمسلمين أن يحذوا حذوهم ويترسموا طريقهم، وإلا كانوا ظلاميين رجعيين متخلفين عن ركب الحضارة والمدنية والتنوير والتقدم .. ومنطقهم في ذلك " إننا الآن في أمس الحاجة إلى السعي نحو التنوير الثقافي، التنوير الذي يقوم على تقديس العقل والإيمان بأن الثقافة الخالدة، إنما هي الثقافة الإنسانية التي تتخطى حدود الزمان والمكان، وبحيث تتحرر من العادات والتقاليد والرجعية، وتنطلق ساعية إلى تحقيق سعادة الإنسان، بما تتضمن من آداب وعلوم وفنون سامية رفيعة، وعن طريق التنوير نستطيع إرساء نظام ثقافي عربي جديد.

إن أوربا لم تتقدم إلا عن طريق السعي بكل قوتها وابتداء من عصر النهضة نحو تحقيق مبدأ التنوير وبحيث وجدنا ثقافة أوروبية جديدة، تختلف في أساسها ومنهجها عن ثقافة العصور الوسطى. " [1]

والواقع أن مسألة استنساخ بعض العرب للتنوير الغربي، وتنزيله على الواقع العربي، باتت قضية مُسَّلمة، ليس مِن قِبَلِ المخالفين لهذا النموذج مِن التنوير بل مِن قِبَلِ حملة المشروع الغربي في عالمنا العربي، وهم أوَّل من نادى باستنساخ التجربة الغربية ونقلها،

(١) العقل والتنوير : عاطف العراقي صد ١٤ .

باعتبارها القنطرة الضرورية لعبور الفجوة بيننا وبين التقدم بجميع أبعاده. وهذا الأمر يؤكده غير واحد من دعاة "التنوير" عندنا.

فعلى سبيل المثال نجد الدكتور مراد وهبة يقول: "إنَّ ثمَّة فجوة حضارية بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة، ليس في الإمكان عبورها من غير مرور بمرحلتين: إحداهما: إقرار سلطان العقل، والثانية: التزام العقل بتغيير الواقع لصالح الجماهير. بيد أنه ليس في الإمكان تحقيق هاتين المرحلتين من غير مرور بعصرين: عصر الإصلاح الديني الذي حرر العقل من السلطة الدينية، وعصر التنوير الذي حرر العقل من كل سلطان ما عدا سلطان العقل [(١)]

كما أكد الدكتور عاطف العراقي - المتحمس للعقلانية- نفس الفكرة، حين قال: "عن طريق التنوير نستطيع إرساء نظام ثقافي عربي جديد. إنَّ أوروبا لم تتقدم إلا عن طريق السعي بكل قوتها وابتداء من عصر النهضة نحو تحقيق مبدأ التنوير، وبحيث وجدنا ثقافة أوروبية جديدة، تختلف في أساسها ومنهجها عن ثقافة العصور الوسطى"[(٢)]

هذا الاستنساخ لنموذج التنوير الغربي هو ما حدا بكثير من الدارسين إلى وصف هذا "التنوير" بكونه مجرد تقليد خال من أي ملامح الإبداع. يقول محمد قطب معدداً سلبيات التنوير:" السلبية الأولى هي التقليد في محاربة التقليد! فلم يكن شيء مما أنتجه

---

(١) راجع مدخل الي التنوير مراد وهبة ص٧

(٢) .راجع : العقل والتنوير عاطف العراقي ص ١٤.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

التنويريون في مهاجمة الإسلام أصيلا، ولا صادرا من عند التنويريين أنفسهم". [1]

وعلى حَدِّ تعبير محمد يحيى: "هو في حقيقته ليس تنويراً على الإطلاق، بل محاكاة وتقليد وجمود على أفكار غربية سقطت حتى من سياقها التاريخي والثقافي الخاص"[2]

ويعتبر الدكتور طه عبد الرحمن - المفكر المغربي- واحداً من أكثر من اهتم ببيان مشكلة التقليد في الفكر العربي الحديث وحركاته التنويرية، وهو يرى: "أنَّ الغالب على الإنتاج الفلسفي المغربي الوقوع تحت طائلة تقليد المنقول الفلسفي، حتى بلغ عنده هذا التقليد غايته، فصار المتفلسف المغربي يتقلب في نظرته الفلسفية تقلب هذا المنقول من غير داع سوى طلب التقليد".

ويدلل على هذه الدعوى بما يجده في هذا "الإنتاج من مذاهب فلسفية هي عينها المذاهب التي تمخضت عن أسباب معلومة في المجتمع الغربي، واتجهت إليها همم مفكريه وانشغلت بها عقولهم انشغالا؛ فهناك - كما هو معلوم- المادية والبنيوية، وهناك الحداثية وما بعد الحداثية، من اختلافية وهامشية؛ فهذا يقلد إيمانويل مونيه، وذاك يقلد "هيجل"، وهذا يقلد ماركس وأتباعه، وذاك يقلد مجموع الأنواريين، وذاك يقلد ""هيدجر" أو "نيتشه". وقد يتقلب الواحد منهم في التقليد، فيبدأ شخصانيا ثم يصير أشبه بالمادي الجدلي، أو

---

(١) راجع : قضية التنوير في العالم الإسلامي محمد قطب ص ٩٠

(٢) راجع : مجلة البيان ص ١٥٩

يبتدئ ماديا جدليا فيصير بنيويا لينقلب على التنوير؛ والأدهى من ذلك أنَّ المتفلسف المغربي لا يقع في تقليد المنقول الفلسفي فحسب بل يقع في تقليد التقليد، ذلك أنه لا يأخذ هذه المذاهب من أصولها ومصادرها الأصلية في الغرب، بل إنما يعول فيها تعويلا على الكتابات والفهوم الفرنسية لهذه المذاهب لا لاختيار مدروس، وإنما لاضطرار معلوم "نحو القصور عن معرفة لغات أخرى" . غير أن المتفلسف المغربي يأبى إلا أن يجعل من التقليد اجتهادا، ومن الضعف قوة، ومن النقص كمالا"(١)

يظهر فعلا من شهادة طه عبدالرحمن أن التقليد في الفلسفة العربية، وعند التنويريين العرب، تقليد من أجل التقليد، وتقليد التقليد، وإن كان طه في النص يخص الفكر المغربي إلا أنَّ الحكم ينطبق على الفكر العربي كاملا، فقد أثار الدكتور المسألة في كتابه فقه الفلسفة: الفلسفة والترجمة"(٢)

وخلاصة القول إن وقوع الحداثيين في التقليد هو في الحقيقة أقوى خطرا وأعظم أثرا من وقوع المفكر المسلم في التقليد، وإن كان كل منهما سقط في التقليد المحظور، إلا أن هناك فروقا واسعة بين التقليدين؛ فتقليدٌ أهون وأدون من تقليد، فالتقليد عند

---

(١) .راجع اليقظة الفلسفية المغربية ودرء آفة التقليد د طه عبد الرحمن مجلة مدارات فلسفية ، الجمعية الفلسفية المغربية الرباط عدد ١ ، ١٩٩٨م ص ٩٧، ٩٨.

(٢) راجع : هل أزف عصر الإصلاح الديني في العالم العربي؟، هاشم صالح، موقع مؤمنون بلا حدود- قسم دراسات وأبحاث، في ٢٠١٣/١٠/١م.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

المفكر المسلم قد ينجم عنه إبطاء مسيرة التطور وليس إيقافها مع الحفاظ على الذات الحضارية من الذوبان، أما التقليد عند دعاة التنوير فيقود إلى تجاوز الذات الحضارية وإلغائها وتذويبها في الآخر، ولو حصل التقدم فإنه ليس تقدما للذات، وإنما هو تقدم للآخر في انتصاره على الذات غزوا ومحوا، تغريبا وتغييبا.

يلاحظ في الخطاب العلماني المعاصر، أن دعاته كثيراً ما يربطون بين التنوير والإبداع، وفوضى حرية التعبير. وإذا كانت هذه هي الفضائل التي يدعون إليها – بحسب تصورهم – فإنه يقابلها على الجانب الآخر ما يعدونه من الرذائل والنقائص التي يجب أن يسعى المجتمع إلى التخلص منها، فعلى المجتمع أن يسعى إلى ثقافة التنوير ويحمي دعاتها من بطش دعاة الرجعية وثقافة الإظلام. وعلى المجتمع أن يحرص على تنمية الاتجاه الإبداعي – بحسب مفهومه لديهم – وأن يشجع عليه، في مقابل الدعوة إلى الإتباع والتقليد وعلى المجتمع أن يشجع حرية التفكير، فترفع الرقابة عن نتاج العقول المبدعة، حتى وإن تعرضت بالنقد أو التجريح للمقدسات الدينية أو القيم الاجتماعية.

ونستطيع القول إن التنويريين المعاصرين، يرون في الأفكار التنويرية العلمانية التي شهدها القرن الماضي من طه حسين وعلى عبد الرازق وسلامه موسى إلى حسن حنفي وسعيد العشماوي ونصر أبي زيد وغيرهم، يرون فيها شواهد صدق على الثقافة الإبداعية والتفكير الجريء الحر، الذي يعبر عن ثقافة التنوير كما دعا إليها فلاسفته في الغرب، وإن كانوا لا يكفون عن المطالبة بالمزيد. وقد

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

عرضنا من قبل لنماذج من هذه الأفكار التنويرية، التي تعبر عن الإبداع العلماني المتجاوز للقيم الدينية والتراثية للأمة الإسلامية.

والحق أن هذه الثقافة التنويرية المزعومة لا تعدو أن تكون لوناً من ألوان الانحراف الفكري والنفسي أو ما يمكننا أن نطلق عليه " الإبداع المريض ". [١]

فإذا كان الإبداع بحسب تعريف التنويريين أنفسهم يعني: " قدرة العقل على تكوين علاقات جديدة من أجل تغيير الواقع ". [٢]

إلا أننا نلاحظ أن هذه الأفكار التنويرية وهذه الثقافة الإبداعية، لا يكاد يعرف منها إلا جانب الجدة ومخالفة المألوف من الأعراف والتقاليد والقيم، تحت دعاوى التجديد والحداثة وحرية الإبداع .. الخ، دون أن يكون لهذا الإبداع أدني أثر في حياة الناس على مستوى التغيير الإيجابي، في جانب الفكر أو الواقع، بل ربما كانت له أثاره السلبية السيئة في تقديم نماذج للجرأة والانحراف في عرض مسائل الدين والأخلاق في صورة مبتذلة تتنافى مع المضمون

---

(١) يقول الدكتور / مراد وهبه: إن ثمة فارقاً كيفياً بين الإبداع السوى والإبداع المرضي ، وهو أن المبدع السوى يفضي فعله بالضرورة إلى إحداث تغيير في الواقع. أما المبدع المريض فإن فعله عاجز عن إحداث التغيير في الواقع. ينظر فلسفة الإبداع د/ مراد وهبه صـ٨٢ ط / دار العالم الثالث – الأولي سنة ١٩٩٦ م.

(٢) " ضد الإبداع " مقال للدكتور/مراد وهبه بمجلة المصور القاهرية عدد (٤٠٩٢) بتاريخ ١٤/٣/٢٠٠٣م صـ٥٦

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

الحقيقي للإبداع، الذي يستهدف شحذ الهمم والعقول من أجل تحقيق " غاية " معينة هي رقي الإنسان وكماله مادياً وروحياً.

يقول د/ عبد العظيم المطعني عن الإبداع الذي يدعو إليه هؤلاء التنويريون:

" إنهم يدَّعون أن للإبداع مصدراً واحداً متعدد الملامح والقسمات، إنه: الانحراف والتمرد على كل موروث ومألوف: تمرد تكن مبدعاً؟ انحرف تكن أديباً عملاقاً.

لا تتقيد وأنت تبدع بغير إرادتك أنت وحدك، ولا تقم وزناً لدين ولا فضيلة، ولا لغة، بل عليك أن تبدع اللغة التي تراها، ولا يمنعك حياء أو خوف من فحش تبديه، أو كفر تظهره، فالإبداع لا يقف دونه شئ ويجب أن يزال من طريقة كل الموانع؛ لأنه إبداع...وكفى ؟! ". [1]

الربط بين الإلحاد والتنوير عند الدكتور/ عبد الرحمن بدوي:

ربط د عبد الرحمن بدوي بين حركة الإلحاد التي ظهرت في التاريخ الإسلامي والتنوير ، فذكر أن من عوامل الإلحاد في العالم العربي والإسلامي ما أسماه بـ (نزعة التنوير التي نشأت في العالم العربي والإسلامي كنتيجة لانتشار الثقافة اليونانية في تلك الأصقاع ..) [2]

---

(١) مصادر الإبداع بين الأصالة والتزوير د/ عبدالعظيم المطعني صـ٤٦ ،٤٧ ط/ مكتبة وهبة الأولي سنة ١٩٩٥ .

(٢) راجع من تاريخ الإلحاد في الإسلام ص ٩ .

ثم ذكر مقومات لحركة التنوير التي كان من ثمراتها الإلحاد في البيئة العربية من هذه المقومات (تمجيد العقل وعبادته بحسبانه الحاكم الأول والأخير .. وفكرة التقدم المستمر للإنسانية .. والنزعة الإنسانية التي ترمي إلى الارتفاع بالقيم الإنسانية الخالصة في مقابل القيم الإلهية والنبوية ... وأخيراً اتصف تنويرهم بأنه يطلب الحرية بكل ثمن دون أن يعبأ بما سيناله من جرائها) [1]

وبعد أن أشار د / بدوي إلى ما بين النزعات الإلحادية في البيئة العربية وبين النزعات الثورية المستندة على تراث اليونان ووصف نزعات الإلحاد بأنها نزعات تنويرية ، وذكر مقومات التنوير ذكر أنها تنطبق على من وصفوا بالإلحاد في الإسلام فقال " وما كانت حركة ابن المقفع وابن الراوندي وابن زكريا الرازي إلا امتداد لنزعة التنوير "[2] .

ثم تبع د / بدوي "كراوس" في وصفه أن المانوية ممثلة للاتجاهات التنويرية في الشرق ، فذكر د / بدوي كلام "كراوس" بقوله " لقد اعتدنا أن ننظر إلى المانوية وحدها وما تفرع منها من تيارات بحسبانها ممثلة للاتجاهات التنويرية في الشرق ". ثم ذكر أن ابن المقفع كان يبطن المانوية [3] فربط بين المانوية والتنوير ، واعتناق ابن المقفع للمانوية – من وجهة نظره – واتهام ابن المقفع بالإلحاد في الإسلام باعتبار أن المانوية تمثل النزعة التنويرية في الإسلام .

---

(١) المصدر السابق ص ٩ – ١١ .

(٢) نفس المصدر ص ٩ .

(٣) نفسه ص ٧٨ .

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

ثـم يمتلـئ د / بـدوي إعجابـاً بهـذا الجـو الإسـلامي الـذي نشـأ فيـه الإلحـاد والـذي يصـفه بـدوي بـالتنوير فقـال عـن هـذا الجـو " ولا يسـع المـرء إلا أن يمتلـئ إعجابـاً بهـذا الجـو الطليـق الـذي هيـأه الإسـلام للفكـر في ذلـك العصـر ، ممـا يـدل علـى مـا كـان عليـه العقـل الإسلامي في ذلك العصر من خصب ونضوج " [1]

ثـم نـراه يتمنـى تحقيـق هـذا الجـو مـرة أخـرى فقـال متسـائلاً (أتـرى يتحقـق مثـل هـذا الجـو مـرة أخـرى في حضـارتنا العربيـة الـتي نأمـل في إيجادها[2]

والـذي نهـدف إليـه أن د / بـدوي يـربط بـين الإلحـاد والتـنوير ويصـف الملاحـدة أنهـم ينحـون منحـى تنويريـاً ثـم يتمنـى د / بـدوي أن يعود هذا الجو لظهور هذا النوع من التفكير في البيئة الإسلامية.

وبعبـارة مـوجزة يسـعى التنويريـون العـرب إلى إحـلال الثقافـة الإنسـانية في رؤيتهـا للعقـل والطبيعـة والمـادة والإنسـان، محـل الـوحي الـذي يعتقـد المؤمنـون بـه أنـه يتخطـى حـدود الثقافـة الإنسـانية والزمـان والمكان.

ولمـا كـان كـثير مـن التـنويريين العـرب قـد اسـتقي معارفـه عـن الإسـلام مـن المصـادر الغربيـة والاستشـراقية، فقـد مثـل في أذهـانهم أن الإسـلام ديـن لاهـوتي جامـد ، يسـتعبد الإنسـان ويسـلبه حريتـه، ويخضـعه لمقرراتـه وأحكامـه، في حـين يمجـد الإلـه ويجـرده ويضـيف

---

(١) من تاريخ الإلحاد د / بدوي ص ٢٦٣ .

٢) المصدر السابق نفس الصفحة

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

إليـه نعـوت الرفعـة والكمـال ، ويعطيـه الحريـة المطلقـة في التصـرف والتـدبير ، وأن الـتراث الإسـلامي القـائم علـى هـذا النقـل تشـيع فيـه الغيبيـات، ومـن ثـم تتسـع مسـاحة " اللامعقـول " وأن علمـاء الإسـلام مـا هـم إلا كهنـة مـن طـراز جديـد ، يـؤدون دور آبـاء الكنيسـة في العصـور الوسـطى ، في الرقابـة علـى الفكـر والحجـر علـى العقـول ، فتحـول بينهـا وبـين الإبـداع ، فهـم أصـحاب محـاكم التفتـيش في الإسـلام ، وأصحاب الفكر الظلامي الرجعي .. الخ .

لمـا أخـذ أنصـار التـوير العلمـاني معرفتـه بالإسـلام عـن طريـق الغرب أسفر عن هذا نتائج تمثل أهمها فيما يلي :

١) النظـرة إلى الإسـلام باعتبـاره " فكـراً " ولـيس " دينـاً " أو " وحيـاً " معصـوماً، والمقارنـة بينـه وبـين أنسـاق مـن الفكـر والفلسـفات المختلفـة، ومـن ثـم رأينـا مـن يطلـق اصـطلاح اليسـار الإسـلامي، بـرغم وجـود أوجـه للشـبه بينهمـا ، مـن حيـث الـدعوة إلى التقدميـة والاشـتراكية والعدالـة الاجتماعيـة .. الخ معتقـداً إمكـان دراسـة الإسـلام بمعـزل عـن الماركسـية، فانتهـت هـذه الدراسـات إلى نـوع مـن مركسـة الإسـلام، ومحاولـة إخضـاعه لمقـولات الماركسـية في نظرتهـا إلى الفكر والدين والمجتمع .. الخ .

٢) إهـدار قدسـية النصـوص الدينيـة ، ومحاولـة تفسـيرها تفسـيراً ماديـاً تاريخيـاً ، ورفـض أصـحاب الفكـر التـنويري العلمـاني للقاعـدة المشـهورة الـتي تقـول إن العـبرة بعمـوم اللفـظ لا بخصـوص السـبب، ومـن ثـم التشـكيك في قـدرة الشـريعة علـى الصـلاحية لكـل

☎ تـليـفـون / فـاكـس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧ Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

زمـان ومكـان ، كمـا تفـتح بـذلك مجـالاً للتأويـل الـذي يـدعو إليـه أنصار التنوير العلماني .

٣) محاولـة إلحـاق العلمانيـة بالإسـلام واعتبارهـا جـوهر الـدين الإلهي ، من حيث سعيها إلى تحقيق مصلحة الإنسان وتحقيق النفع له

٤) تشـجيع نزعـات الإلحـاد العلمـي ؛ بـدعوى أنهـا سـعي إلى الكشـف عـن الحقيقـة ، ومقاومـة أشـكال الزيـف والخـداع الـتي يلجـأ إليها المتدينون ويتواطؤ عليها المجتمع .

ومـا أشـرنا إليـه هنـا مـن مقـدمات ونتـائج تتصـل بحـديث أنصـار التـنوير العلمـاني عـن العقـل والعقلانيـة ، يرجـع بصـفة أساسـية إلى تـبني هـؤلاء التنـويريين لأفكـار عصـر النهضـة وفلاسـفة التنـوير الأوربـي ، الـذي كـان ثـورة علـى تسـلط الكنيسـة ومعاداتهـا للعلـم والعقـل. وبعـد إطـلاع المفكـرين العـرب علـى هـذا الـتراث الغربـي حـاولوا نقلـه إلى المجتمـع الإسـلامي وبحسـب تعـبير الـدكتور / الجلينـد :" انتقلـت المعركـة بكـل ملابسـاتها وظروفهـا إلى عالمنـا العربـي بـدون أن يفطـن دعـاة التنـوير في عالمنـا العربـي إلى أن الإسـلام لـيس هـو الكنيسـة ولا عالمنـا العربـي هـو أوروبـا ، ولا الحضـارة الإسـلامية هـي الحضـارة الأوروبيـة فـى عصـورها المظلمـة ، فلـيس رجـل الـدين عنـدنا رافضـاً للعلـم ولا محارباً للعقل .

وأخـذ دعـاة التنـوير عنـدنا يصـورون المعركـة في بلادنـا علـى أنهـا صـراع بـين الإسـلام والعلـم بـين الـدين والعقـل ، بـين ضـرورة الـتخلص مـن الماضـي والنهـوض بالمسـتقبل ، وكـان النمـوذج الغربـي في

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

نظرهم هو المثل والقدوة التي ينبغي أن نحذو حذوها ، ونسير في ركابها حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلناه معهم " .[1]

وإذا كان من نافلة القول أن نتحدث في هذا المقام عن موقف الإسلام من العقل والعلم وحرية التفكير والاجتهاد .. الخ فإننا نحب أن نركز في هذا المقام على نقطتين أساسيتين :

الأولى : أن ما يعمد إليه دعاة التنوير العلماني في حديثهم عن العقل والعقلانية في نوع من " الإلحاح الإعلامي " المستمر على موضوع العقل والعقلانية ، هو مجرد دعوى فضفاضة تفتقر إلى شئ غير قليل من التحديد والتوضيح ، كما تفتقر إلى المضمون . فإن أي إنسان مهما كانت قناعته بالمنهج العقلي أو بالعقلانية كنظرية معرفية تعطي للعقل الجرأة والحرية في استخدام العقل – بشكل عام – في كل القضايا [2] ، كما هو شعار التنوير عند " كانط " " كن جرئياً في إعمال عقلك " . أو كنظرية أخلاقية تعطي للعقل السلطة المطلقة في قبول كل ما هو معقول وحذف كل ما هو غير معقول[3] . وتطبيق ذلك على الأديان والعقائد بصفة عامة

نقول إنها برغم ذلك لا تستطيع أن تستبعد دور الدين أو العقيدة الدينية ، أو الجوانب الروحية والمثالية من التأثير في حياة البشر – بغض النظر عما إذا كانت صحيحة أو فاسدة – كما أن

---

(١) فلسفة التنوير بين المشروع الإسلامي والمشروع التغريبي د/ محمد السيد الجليند – صـ ١٦ .

(٢) ملاك الحقيقة المطلقة – د / مراد وهبة صـ ٢٠ بتصرف .

(٣) المصدر السابق .

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

افتراض سيادة العقلانية سواء في الناحية المعرفية أو الأخلاقية فيه نوع من " المصادرة " على حرية الإنسان التي ما فتئ التنويريون العلمانيون يلهجون بها ، حين تفرض عليه نسقاً فكرياً أو معرفياً معيناً .

ومع هذا فإن العقلانية والدعوة إليها في جانبيها المعرفي والخلقي تظل دعوة قلة من المثقفين أو المتنورين الذين ربما كانت لهم من ورائها مآرب أخري غير الفكر المجرد. أما في جانب الكثرة الكاثرة من الجماهير ، فإنها لا تستطيع الاستغناء عن الجانب الروحي أو المثالي الذي يمثله لهم الدين والعقيدة الروحية بصفة عامة ، وهذه الضرورة هي التي من أجلها تتابعت دعوات الأنبياء والرسل إلى الناس مصداقاً لقوله تعالى : ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[1]

يقول الفيلسوف الفرنسي " رينان " : " إن من الممكن أن يضمحل كل شيء نحبه ويتلاشى من أمام أعيننا ، وأن نبطل حرية العقل ... لكن يستحيل أن ينمحي التدين من نفوسنا ، بل سيبقي حجة ناطقة على بطلان المذهب المادي الذي يريد أصحابه أن يحصروا حاجة الإنسان في المطالب المادية الدنيئة للحياة الأرضية".[2]

---

(١) سورة فاطر من الآية رقم(٢٤).

(٢) نقلاً عن فلسفة التنوير د/ الجليند صـ ١٩ ، ٢٠ .

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

واستجابة لهذه الضرورة أعقب عصر العقل والتنوير في أوروبا- القرن السابع عشر والثامن عشر- عصر سمي عصر الإيمان قامت فيه فلسفة الإيمان في وجه فلسفة "كانط" العقلية.[1]

ولكن من العجيب أن نجد بعض دعاة التنوير الغربي يسلكون إسقاط مقومات التنوير الغربي على الفكر الإسلامي ،

وعن ارتباط الإلحاد بالتنوير يقول حسن حنفي " الإلحاد هو التجديد .. وهو تطابق مع الواقع ووعي بالحاضر ، ودرء للأخطار ، وهو المعنى الأصلي للإيمان !! ولا داعي للخوف منه ولا من العلمانية فهما حتميان "[2]

يريد أن يتحول الإيمان إلى الإلحاد ، والإلحاد من وجهة نظره هو الأمل في تجديد الفكر ، لأنه يتمشى مع الواقع وفيه وعما بالحاضر ولا خوف منه .

هذا المسلك الذي دعي إليه حسن حنفي وغيره ممن زعموا أنهم دعاة تنوير "الذين حملوا لواء الحرية ، ودعوا إلى إعمال العقل، ورفعوا من شأن العلم ، وحاربوا التمسك بالقديم إذا تعارض مع ما يقضي به حكم العقل أو المصلحة " [3] – إنما هو مسلك غربي نشأ

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث – د/ محمد البهي صـ ٢٤٧،التنوير رؤية إسلامية د/ حلمي القاعود صـ ١٦، ١٧.

(٢) التراث والتجديد د / حسن حنفي ص ٦٧ ، ٦٩ .

(٣) التنوير الزائف : د / جلال أمين ص ٤٤ دار المعارف سلسلة اقرأ رقم ٦٤٠

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

لظروف معينة وكان لرواده قضية أمام الكنيسة فهل هناك قضية مع الإسلام للخروج عنه بالإلحاد ؟

ومن هنا نصل إلى مجانبة دعاة التنوير في البيئة العربية في إسقاط مقومات التنوير الغربي على الفكر الإسلامي وعلمنة البيئة الإسلامية ، وارتباط الإلحاد بالتنوير .

التنوير الغربي القائم على الإلحاد ، قام ضد الكنيسة ، باعتبارها الممثلة آنذاك للدين ، ولذا اعتبروا عصرها عصر الظلام وما جاء بعدها بعصر التنوير .

وهذا أمر منطقي ومقبول إذا عرفنا أن الدين آنذاك لم يكن ديناً سماوياً ينير العقل والنفس ، بل كان أحكاماً بشرية وضعها الباباوات والقساوسة ، وحملوا الناس على اعتناقها ، ولذلك لا مانع في نظرنا أن يكون الخروج عليها تنويراً ، لأنه كان في الحقيقة خروجاً على أفكار مظلمة ، فهو ليس خروجاً على دين سماوي إلهي له العصمة وإذا كان الأمر كذلك في أوربا فلا شك أنه مختلف تمام الاختلاف في الإسلام ، حيث الدين الصحيح ، والوحي السماوي الغير محرف ، والذي استنارت به القلوب والعقول ، ولذا كان الخروج عليها ظلاماً وظلماً لا تنويراً .

فإذا كان ما فعلته الكنيسة أدى إلى إظلام العقل والنفس فكان الخروج عليها ضرورة تاريخية ومنطقية ، فإذا ما نظرنا إلى الإسلام وجدناه إنارة للعقل ولهذا جمع بين العقل والإيمان في بوتقة واحدة.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

مما سبق نصل إلي أن فلسفة التنوير ومصطلح التنوير مصطلح غربي النشأة وهو يعني ظلامية الدين وهذا لا نسلم أبداً أنه ينطبق على الإسلام، فالقرآن يبين أنه هو التنوير الحقيقي لأنه يخرج الناس من الظلمات إلى النور.

وإن الداعي إلي التنوير في البيئة العربية والتنويرية لم يبتكر هذه الفكرة، وإنما تأثر بها من الفكر الغربي والمستشرقين، خاصة إذا علمنا أنه تابع أمين لهم، يردد أفكارهم، ويعمل على نشرها في غير بيئتها، وكان ينبغي عليه أن يعلم أن الأفكار نابعة من بيئتها الثقافية، ولظروفها الفكرية والسياسية، وأن نقلها إلى بيئة أخرى مختلفة عنها تماماً ليس من الإنصاف، وهذا أشبه بمن نقل شجرة من بيئة خاصة بها إلى بيئة أخرى ترفضها، والنتيجة أنها في البيئة الجديدة ستذبل وتموت.

إذاً الظروف الثقافية والدينية في البيئة الإسلامية مختلفة عن البيئة الغربية، فالدين غير الدين، والعلماء هنا غير رجال الدين هناك.

تأثر بعض دعاة التنوير الغربي بآراء المستشرقين.

إنه لمن الطبيعي أن يقع المثقف التنويري العربي في أسر الرؤية الاستشراقية وقوعا حتميا، لا فكاك عنه، لسبب جوهري هو أن الاستشراق مثل الذراع الفكري والمنهجي للتوغل في العالم الإسلامي واكتشافه وتفكيكه، كما أنه هو الذي احتضن حركة "التنوير" العربي، احتضان الأب لوليده؛ لذلك فلم يكن بُدٌّ أن ينظر المثقف التنويري لذاته وتراثه بعيون استشراقية غربية.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

يقول الدكتور إبراهيم السكران: "والحقيقة أنني بعد دراسة مشروعات التأويل الحداثي للتراث اتضح لي أنها استمدت مادتها وتحليلاتها الأساسية من أعمال المستشرقين...، وفي كتب الحداثيين العرب ومصادرهم الاستشراقية تفاصيل كثيرة في وسائل التفسير وصيغ القراءة وأنماط الاستنتاجات، إلا أنه اتضح لي أيضا أن نقطة نهاية الطريق في عامة هذه التفسيرات تصل بالقارئ إلى نهايتين:

إما رد علوم التراث الإسلامي إلى كونها مجرد اقتراض من ثقافات سابقة، كتابية أو هيللينية أو فارسية أو غيرها، دون برهنة ملموسة على ذلك، أي اعتبارها وافدة. وهو ما يمكن تسميته تقنية (التوفيد).

وإما رد علوم التراث الإسلامي إلى أنها حصيلة صراع سياسي، وليست حصيلة نظر موضوعي، حسب مقتضيات الدلائل العلمية، دون برهنة ملموسة على ذلك، وهو ما يمكن تسميته تقنية (التسييس).

فهاتان التقنيتان التفسيريتان، أي توفيد الأصيل وتسييس الموضوعي؛ لاحظت أن عامة الاستشراق الفيلولوجي يؤول إليها، وعامة من أخذ عنهم من الحداثيين العرب إنما يعيد إنتاجهما"[١]

---

(١) التأويل الحداثي للتراث: التقنيات والاستمدادات، إبراهيم بن عمر السكران، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١/١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م: ص١١- ١٢.

ويقول الشريف "زروخي" عن مشروع محمد أركون باعتباره واحدا من دعاة الحداثة والتنوير في الفكر العربي المعاصر ممن اعتمد على منهجية استشراقية: "هذه المنهجيّة جعلت كثيرا من الدَّارِسين يرون أنّه مستشرق في ثوب جديد؛ لأنَّ جُلَّ تعاملاته مع التّراث تتّفق والذِّهنيَّة الاستشراقيّة"[(١)]

و"أركون"، وإن كان قد "التزم ممارسة النقد الموضوعي على مناهج المستشرقين بهدف تجاوز آلياتهم ومناهجهم، لكن حضور الاستشراق بمقولاته ومفكريه ومناهجه بقوة في أعماله جعل البعض يُصِرُّ على أن أعمال أركون متشبعة بأيدولوجية الاستشراق"[(٢)]

ورغم نقد كثير من المثقفين العرب لهذه الرؤية الاستشراقية إلا أنَّه وَقَعَ في أَسرِها، فهذا محمد عابد الجابري –أيضا- ينتقد وقوع التنويريين العرب في النزعة الاستشراقية وخدمة أغراضها، يقول: "فالصورة العصرية الاستشراقوية الرائجة في الساحة الفكرية العربية الراهنة عن التراث العربي الإسلامي، سواء منها ما كتب بأقلام المستشرقين أو ما صنف بأقلام من سار على نهجهم من

(١) الاستشراق واستقلال السؤال الفلسفي دراسة في مشروع أركون: الشريف زروخي، مجلة العلوم الاجتماعية، عدد ١٨، يونيو ٢٠١٤م.

(٢) المصدر السابق

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

الباحثين والكتاب العرب، صورة تابعة. إنها تعكس مظهرا من مظاهر التبعية الثقافية، على الأقل على صعيد المنهج والرؤية"[1]

وينتقد الجابري أصحاب الرؤية الماركسية [2] باعتبارها صورة من صور الاستشراق: "بكونها تعي تبعيتها للماركسية، وتفاخر بها؛ ولكنها لا تعي تبعيتها الضمنية للإطار نفسه الذي تصدر عنه القراءة الاستشراقية لتراثنا. إن المادية التاريخية التي تحاول هذه الصورة اعتمادها، كمنهج مطبق، وليس كمنهج للتطبيق، مؤطرة هي الأخرى داخل إطار المركزية الأوروبية: إطار عالمية تاريخ الفكر الأوروبي، بل التاريخ الأوروبي عامة، واحتوائه لكل ما عداه، ... وهذا يكفي ليجعل الصورة الماركسية لتراثنا العربي الإسلامي تقوم هي الأخرى على الفهم من خارج لهذا التراث، مثلها مثل الصورة الاستشراقية سواء بسواء."[3]

وغير خَافٍ على المطلع على كتب محمد عابد الجابري وقوعه هو بذاته فيما انتقد غيره فيه، وعابه عليه.

ونتيجة لذلك لم يكن التنوير العربي إلا خادما للمشروع الاستعماري والمركزية الغربية. في هذا السياق يمكن التساؤل: هل التنوير بهذه الصفات قادر على تحقيق هوية الأمة؟ أليس الأخذ

---

(١) الخطاب العربي المعاصر: محمد عابد الجابري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، دار الطليعة، بيروت، مايو ١٩٨٢م: ص٨١.

(٢) راجع: مقال التنوير معالمه اسسه وغاياته مركز التأصيل للدراسات والبحوث الاثنين ١٢ ربيع الأول ١٤٣٥ هـ

(٣) الخطاب العربي المعاصر: عابد الجابري: ص٨١- ٨٢.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

بنموذج التنوير الغربي إنما هو تغريب للأمة عن ذاتها وهويتها وتذويب لها في الآخر؟ ألا تتوفر الأمة على مرجعية صالحة للانطلاق منها؟

وأخيرا يمكن القول إن التنوير العربي كان مجرد نقل للتنوير الغربي على مستوى الرؤية والمنهج الماديين، وعلى مستوى الغايات ذات الأبعاد المادية والعلمانية ، لذلك السبب سقط في معضلات نظرية وتطبيقية، تراوحت بين الإغراق في التقليد والتبعية ونفي الذات وخصوصياتها، وهدم مرتكزاتها ومقوماتها بدعوى الماضوية، كما لم يسلم من آفات التناقض والانتقائية والإسقاط.

وعليه فرغم أن الأمة مضى عليها حوالي قرنين من عمر النهضة إلا أن مشروع النهضة وفق مذاهب التنوير العربي المقلدة للنموذج الغربي عجز عن تحرير الأمة من مشكلاتها، بل كان نفسه واحدا من أبرز الأسباب في إعاقة انطلاقة الأمة نحو بعثتها الحضارية الجديدة، إننا في حاجة إلى تنوير وحداثة حقيقية، تهزُّ الجمودَ، وتُدمِّرُ التخلفَ، وتحقق الاستنارة، لكنه تنوير وحداثة يجب أن يكون تنويرنا وحداثتنا نحن، نابعاً من ديننا وثقافتنا الإسلامية بمصدريها الكتاب والسنة، وليست نسخة مشوهة من التنوير والحداثة الغربية.

فالتنوير العلماني في البيئة الإسلامية، يحوي كثيراً من الانحرافات المستمدة في غالبها من كتابات المستشرقين ومناهضي الوجود الإسلامي في الغرب والشرق.

الفصل الثالث

التنوير الإسلامي ومقوماته.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: مفهوم التنوير الإسلامي ومصدره

المبحث الثاني: مقومات التنوير الإسلامي

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

المبحث الأول

مفهوم التنوير الإسلامي ومصدره

سؤال يطرح نفسه : هل يوجد في الإسلام تنوير يختلف في أسسه ومقوماته وأهدافه عن التنوير الغربي ؟ أو بمعنى أدق هل يوجد تنوير إسلامي يهدف إلى نهضة حضارية للأمة الإسلامية ؟ أو لا ؟ وإن كان هناك تنوير إسلامي فما هي مقوماته ؟ وهل تختلف عن مقومات التنوير الأوربي ؟

أولاً: التنوير في اللغة :

من الأمور التي تلفت نظر الباحث أن مصطلح التنوير لم تعرفه معاجم الفكر والثقافة عبر تاريخ الفكر الإسلامي ، وإن وجد في معاجم اللغة وقواميسها .[1] حيث يدور لفظ التنوير علي معاني : الإنارة والإضاءة والحسن ، والإسفار ، والكشف ، وانجلاء الظلمة .. الخ .

ففي معني التنوير يقول صاحب القاموس : نوّر الشجر تنويراً : أخرج نوره .. وأنار : حَسُن وظهر كأنور . والمكان : أضاءه .. والأنور : الحسن.[2]

---

(١) يراجع : الإسلام بين التنوير والتزوير د/ محمد عمارة صـ ١٨ دار الشروق الأولي سنة ١٩٩٥ .

(٢) القاموس المحيط – الفيروز آبادى جـ٢ صـ ١٥٥ ط / مصطفي البابي الحلبي – الثانية لسنة ١٩٥٢ .

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧ Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

وفي لسان العرب النور : ضد الظلمة . ونار نوراً وأنار واستنار ونوّر بمعني واحد : أي أضاء. واستنار به : استمد شعاعه . ونور الصبح : ظهر نوره .[1]

وفي هذا المعنى جاء الحديث الشريف« «نَوِّرُوا بِالصُّبْحِ قَدْرَ مَا يُبْصِرُ الْقَوْمُ مَوَاقِعَ نَبْلِهِمْ» » .[2]

أى صلوها ساعة التنوير ساعة إسفار نور الصباح علي إرادة تحديد وقت الصلاة .[3].

وفي معنى الكشف والبيان استعمل بعض المتقدمين لفظة " التنوير " في معني التفسير ، كما نقله الإمام ابن تيمية –رحمه الله– عن الإمام الثعلبي من أئمة التفسير– وأنه كان يقول إن معنى التفسير هو : التنوير ، وكشف المغلق من المراد بلفظه.[4] وفي هذه الدلالة استعمله بعض العلماء والمؤلفين المسلمين عنوانا علي بعض مؤلفاتهم في العلوم الشرعية واللغوية .[5]

---

(١) القاموس المحيط – الفيروز آبادى جـ٢ صـ ١٥٥ ط / مصطفي البابي الحلبي – الثانية لسنة ١٩٥٢ .

(٢) مسند ابن ابي شيبة ٧٨/١

(٣) ينظر : الإسلام بين التنوير والتزوير د/ محمد عماره صد ١٨.

(٤) ينظر مجموعة الفتاوى لابن تيمية م ٩ / جـ ١٧ / صد ١٩٩ .

(٥) من ذلك : كتاب / تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك للسيوطى ط/القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ ،تنوير الأذهان في الصرف والنحو والبيان– محمد عمر – ط/ القاهرة سنة ١٣٠٣ هـ ، تنوير الأفهام في تغذي الأجسام – علي باشا=

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

ثانياً: التنوير في القرآن الكريم والسنة:

يخبرنا القرآن الكريم أن الله تعالى نور، وذلك فى قوله الله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.[1] وأن الرسول نور ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾.[2]، وأن القرآن نور ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾.[3]، كما تخبرنا السنة المطهرة أن الصلاة نور .. وعلى الجملة فالإسلام كله نور. وعلى هذا فالمستنير بنور الله، والقرآن والسنة، له "تنويره الإسلامي" الجامع بين مصادر معرفة تنويرية متميزة، فهو "تنوير مؤمن" بالله ورسوله ودينه وكتابه، وجامع إلى هذه المصادر الإلهية للتنوير الإسلامي المؤمن " نور الحكمة " – التي هي الإصابة في غير النبوة – أى الصواب البشرى القائم على العقل الإنساني والتجربة الإنسانية، وعلى " البصيرة " التى توقد مصابيحها فى القلب الإنساني عبادة الحكيم لأحكم الحاكمين .فنحن إذن أمام تنوير إسلامي متميز لتميز الإسلام ونسقه الفكرى وتطور حضارته . إنه ثمرة إسلامية خالصة وخاصة، وليس كالتنوير الغربي، رد فعل ناقد وناقض للدين .."[4]

= مبارك– القاهرة سنة ١٣٠٣ هـ، تنوير الحلك في رؤية النبي والملك –جلال الدين السيوطي – ط/ القاهرة سنة ١٣٢٨ هـ .. الخ .

(١) سورة النور من الآية : (٣٥) .

(٢) سورة المائدة من الآية : (١٥) .

(٣) سورة النساء الآية : (١٧٤) .

(٤) ينظر : الإسلام بين التنوير والتزوير – د / محمد عمارة – صـ ٢٧ .

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

وإذا كان من معانى التنوير الكشف والبيان والإسفار والإضاءة والظهور .. فإن الإسلام بهذا المعنى كله دعوة إلى الكشف عن الحقائق ، ورد الأباطيل ، والاهتداء بنور اللّه فى الخروج من ظلمات الجهالة والشرك والدخول فى نور التوحيد والإيمان ، الذى ينعكس أثره على العبد تسديداً فى القول والعمل ، وبصيرة بالقلب ، وهداية للعقل . وفى هذا يقول اللّه تعالى: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.[1]

كما أنه دعوة إلى إعمال العقل والوصول به إلى حقيقة الكون، ومن ثم الوصول إلى البراهين القاطعة على قدرة خالقه جل وعلا وكمال أسمائه وصفاته. كما أنه دعوة إلى نبذ التقليد واتباع الأسلاف على غير هدى وبينة: « لا يكن أحدكم إمعه .. الحديث » .[2] كما يكفل للإنسان الحرية فى الاعتقاد﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ .[3]﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾.[4] ويكفل للإنسان حقوقه الإنسانية التى سبق بها كل المواثيق التى وضعت فى العصور المتأخرة.

وبهذا نستطيع القول : إن التنوير الإسلامي ينبع من الإسلام نفسه، ويصدر عن مصادره الأصيلة ، وأنه لا يعرف العقلانية المفرطة

---

(١) سورة المائدة الآية : (١٦) .

(٢) سنن الترمذى : كتاب البر والصلة – باب : ما جاء فى الإحسان والعفو رقم ٢٠٠٧ جـ٤/صـ ٣٦٤ .

(٣) سورة الكهف من الآية : (٢٩) .

(٤) سورة البقرة من الآية : (٢٥٦) .

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧ Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

، التي تنتهى إلى تمجيد العقل أو تأليهه – التى تنحو بعيداً عن الاستهداء بالوحى أو تتنكر للنقل ، بل العقلانية فى التنوير الإسلامي ، عقلانية مؤمنة ، تضبط العقل بالنقل ، وتأخذ به إلى ميادين الاجتهاد المتاح والمأمور به ، دون غلو أو شطط . وبهذا تدعم أواصر الصلة بين النقل والعقل فى جانب المعرفة ، وبين الدين والدنيا فى جانب الوجود . كما أن التنوير الإسلامي لا يعرف الحرية المنفلتة من الضوابط الإيمانية والخلقية، ولا يعترف بالعبث الفكري الذى لا طائل من ورائه فى ميدان العلم أو فى ميدان العمل . أعطى التنوير الإسلامي للإنسان حقوقه كاملة فى الحرية والعدالة والمساواة، ووضع لذلك من الضوابط ما يكفل للإنسانية كلها سبل السلام والسعادة. ......[1]

وبهذا يقدم التنوير الإسلامي منظومة متكاملة في جانب القيم والأخلاق، وهى إلى جانب الأسس الإسلامية في المعرفة والنظرة إلى الوجود، تقدم فلسفة تنويرية إسلامية أصيلة، تجعل المسلمين في غناء كامل عن كل فكر وافد. وإن كان الإسلام نفسه لا يمنع المسلمين من أن يطلبوا الحكمة والعلم النافع في الأمور المادية والدنيوية – بعيداً عن منظومة العقائد والقيم والأخلاق – أياً كان مصدرها.

ومن هنا نجد أن مقومات " التنوير الإسلامي " تختلف وتتباين عن مقومات " التنوير الغربي " .فالتنوير الغربي يستتير فيه

---

(١) الفكر الإسلامي المعاصر مقوماته ومعالمه ، رسالة دكتوراه جامعة الأزهر ،د/ صبري موسى سليمان ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

الإنسان بنقض الدين وتجاوز شرائع الله ، أما التنوير الإسلامي يستنير فيه الإنسان بالإسلام .

والتنوير الغربي يحل فيه العقل محل الله والوحي والدين، أما التنوير الإسلامي تنويراً يجتمع فيه نور العقل ونور النقل والشرع والدين.

والتنوير الغربي يرى الإنسان حيواناً طبيعياً .. بينما يراه الإسلام إنساناً ربانياً وأنه خليفة الله في الأرض. ومن هنا اختلفت المقومات والمنطلقات والمقاصد والمقولات بين التنوير الغربي والتنوير الإسلامي (١)

ومن هنا نصل إلى أن رأي الداعي إلي التنوير في البيئة العربية والإسلامية غير مسلم به، حينما نظر إلى النزعات الإلحادية في الإسلام على أنها نزعات تنويرية، ومصطلح التنوير الذي يقصده هو المصطلح التنويري الغربي الذي يمجد العقل الإنساني.

ولقد نظر إلى من وصفوا بالإلحاد على أنهم ينحون منحىً تنويرياً "والإلحاد عنده هو التنوير والإنسانية والوجودية "(٢) .

فيسقط مبادئ ومقومات التنوير الغربي على الفكر الإسلامي، مع أنه ليس هناك تشابهاً بين " النسق الفكري

---

(١) التقدم والإصلاح بالتنوير الغربي ؟ أم بالتجديد الإسلامي د / محمد عمارة ص ٢٢ ، ٢٣ بتصرف

(٢) راجع الصوت والصدى د/ أحمد عبد الحليم عطية ص ٢٠ .ط دار الثقافة للنشر والتوزيع مصر ط١ سنة ١٩٩٠م.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧ Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

الإسلامي، وتطور حضارته، وبين هذا الذي حدث في أوربا الفعل الكنسي منه " رد الفعل التنويري " حتى يكون هناك لاستدعاء هذا التنوير الأوربي ليكون تنويراً لنا نحن المسلمين " (١)

فنحن إذن أمام تنوير إسلامي فيه معرفة تنويرية من النقل من نور الله والرسول ومعرفة تنويرية بالحكمة والعقل والبصيرة التي تضيء قلب وعقل المسلم .

---

(١) الإسلام بين التنوير والتزوير د/ محمد عمارة ص ٢٤ .


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

المبحث الثاني

مقومات التنوير الإسلامي

أما عن مقومات التنوير فقد ذكر د/ محمد عمارة أبرز مقومات التنوير الإسلامي في النقاط التالية:

١ – تحرير الإرادة والضمير من العبودية لكل الطواغيت بإفراد الله ﷻ بالعبودية ، وفي ذلك قمة التحرير للإنسان .

٢ – واعتبار القرآن رأي " النقل " والدين والشرع نوراً للبصر والبصيرة أي " للعقل " الإنساني ، الأمر الذي ينفي التناقض بينهما حتى ليصبح لا غنى ولا استغناء لأحدهما عن الآخر .

٣ – والاستدلال والبرهنة على الحقائق الإيمانية والعقائد الدينية بالآيات الكونية – المبثوثة في الآفاق – الكون – وبآيات الأنفس – الخلق والإحياء والإماتة والبعث – وليس بآيات النقل والغيبيات .

٤ – والحوار والمناجاة - حتى مع الذات الإلهية – وذلك طلباً لليقين الديني الذي يطمئن به وإليه القلب ، وذلك بواسطة التجربة الحسية ، كما في حوار الخليل إبراهيم عليه السلام مع الله سبحانه تعالى .. فهو استنارة الإنسان بالعقل والنقل ليكون له – بالعقل والشرع – نوراً على نور[1]

---

(١) التقدم والإصلاح بالتنوير الغربي ؟ أم بالتجديد الإسلامي د / محمد عمارة ص ٢٠ ، ٢١ .

إذا نظرنا إلى هذه المقومات للتنوير الإسلامي نجد أنه "متميز لتميز الإسلام .. ونسقه الفكري ، وتطور حضارته ، إنه ثمرة إسلامية خالصة وخاصة وليس كالتنوير الغربي ، رد فعل ناقد وناقض للدين "(١)

وكما ذكرنا آنفاً أن التنوير الغربي جاء ليهدم الدين الكنسي وجاء رد فعل للظلام الذي ساد أوربا من سيطرة الكنيسة على الفكر والعلم بتبنيها الفكر الأرسطي ، ووضع قوانين علمية خاطئة في الكتاب المقدس ، فجاءت الحركة التنويرية في أوربا لإزالة هذا الظلام والبعد عن الدين والاحتكام إلى العقل بعيداً عن الدين ، واتسمت بالإلحاد في الفكر ، فارتبط الإلحاد الغربي بازدهار الحضارة الغربية ، أما الإسلام فتنويره بالإيمان بالله وليس بالإلحاد .

وأيضاً نجد " أن الإلحاد لم يشكل تياراً في أي عصر من عصور الحضارة الإسلامية ، فضلاً عن أنه لم يكن من لوازم أو معالم عصر النهضة في الإسلام – الذي بلغ ذروته في القرن الرابع الهجري – وإنما جاء على لسان بعض الأفراد ، والتصق لذلك بأسمائهم فقالوا : " ابن الراوندي الملحد " وعُد ممن رُمي بالزندقة مع ابن الراوندي هذا : عبد الله بن المقفع ، وحماد بن عجرد وبشار بن

---

(١) الإسلام بين التنوير والتزوير د/ محمد عمارة ص ٢٧ .

برد ، وليس كذلك الحال في المجتمع الأوربي في القرن الثامن عشر - عصر فولتير – الذي عرف عندهم بعصر الإلحاد ") [1]

يقول الأستاذ / أحمد أمين: " والذي يظهر لي أن جانب الإيمان في ذلك العصر كان الأعم الأشهر، والزندقة – بمعنى الشك أو الإلحاد – كان حظ قليل من المفكرين إذا قيس بالعدد العديد من المؤمنين .. والزندقة ليست إلا شذوذاً في اتجاه التيار العام "[2]

فإذا كان ما نقلته الكنيسة أدى إلى أحكام العقل والنفس فكان الخروج عليه ضرورة تاريخية ومنطقية، فإن ما جاء به الإسلام كان إنارة للعقل ولهذا جمع بين العقل والإيمان في بوتقة واحدة.

ولكن الأمر يختلف في الحضارة الإسلامية، فالتاريخ الإسلامي " اقترن فيه الازدهار الحضاري بالاحتكام إلى الشريعة الإلهية، وارتبطت فيه العقلانية الفلسفية بالتوحيد والفقه والكلام .. فلم تعرف حضارتنا " الفعل " الكهنوتي الذي جاء " التنوير اللا ديني " نفياً له ورداً عليه "[3] .

إذاً ازدهار الحضارة الإسلامية بالإيمان وليس بالإلحاد ولم يسهم الإلحاد في ازدهار الحضارة الإسلامية ، وبعض الذين اتهموا

---

(١) ضحى الإسلام : أحمد أمين (١ / ١٥٨) . ط مكتبة النهضة المصرية ط ٩ ، سنة ١٩٧٧م

(٢) ضحى الإسلام : أحمد أمين (١ / ١٥٨)

(٣) الإسلام بين التنوير والتزوير د/ محمد عمارة ص ٢٥ .

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

بالإلحاد لم يكونوا إلا أفراداً قليلة التصق بهم الإلحاد ، بينما الأمر غير ذلك في أوربا ، فأسهم الملحدون في ازدهار الحضارة الغربية وسمي عصرهم بعصر الإلحاد ، وهو عصر النهضة عندهم القائم على تنحي الدين عن العلم والعقل عن الوحي وأقاموا فلسفاتهم على العقلانية والمادية فقط .

أما التنوير الإسلامي يهدف إلى ازدهار الفكر الإسلامي القائم على العلاقة بين العقل والنقل تلك العلاقة التي صورها حجة الإسلام أبو حامد الغزالي [٤٥٠ – ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨ – ١١١١ م] بقوله : " فمثال العقل : البصر السليم من الآفات والآذاء .ومثال القرآن : الشمس المنتشرة والضياء ، فأخلق بأن يكون طالب الاهتداء ، المستغني بأحدهما عن الآخر في عمار الأغبياء فالمعرض عن العقل ، مكتفياً بنور القرآن ، مثاله : المتعرض لنور الشمس مغمضاً للأجفان ، فلا فارق بينه وبين العميان ! فالعقل مع الشرع : نور على نور "(١)

هذا هو الإسلام الذي يضيء فيه النقل ليسير العقل بنور النقل ، فالدين ليس عدواً للعلم أو التنوير الحقيقي بل الإلحاد ، وليس الدين هو الذي يقف حجراً عثرة في الإصلاح .

وعلي أية حال فقد حاولنا في الصفحات السابقة إلقاء بعض الضوء علي مصطلح التنوير ودلالته في الفكرين الغربي والإسلامي،

---

(١) راجع الاقتصاد في الاعتقاد : الإمام الغزالي ص ٨ ، مكتبة الجندي ، بدون تاريخ

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

وقد تبين لنا من خلالها أن هناك نوعين من التنوير:

الأول : التنـــوير العلمـــاني : كمـا عرفـه الفكـر الغربـي ، في القـرنين السـابع عشـر والثـامن عشـر ، الـذى قـام علـى أسـاس مـن تقديس العقل والطبيعة ، والفصل بين الدين والحياة .

الثـــاني : التنـــوير الإســلامي: كمـا حـددت معالمـه المصـادر الإسـلامية الأصيلة ، والـذى يجمـع بـين العقـل والنقـل والـدين والحيـاة ، ولا يقيم قطيعة معرفية بين هذه الأطراف. وبعد ...

فهـذا جهـد المقـل وعمـل المقصـر، فـإن كنـت قـد أصـبت وأحسـنت بفضـل الـرحمن المنـان، وإن كانـت الأخـرى فمـن نفسـي والشيطان، وأسأل الله تعالى العفو والغفران.

وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

الخاتمة

وتشتمل على أهم ما تمخض عنه البحث من نتائج.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أتوجه في خاتمة بحثي بشكره سبحانه على إتمامه، فهذا من منته وإحسانه، وأخلص إلى تلخيص أهم نتائج البحث فيما يأتي:

١- ظهر لنا أن تحريف الدين النصراني ، وهيمنة الكنيسة ورجالها ، والصراع بين الكنيسة بالعلم أدي إلي تطور لموقف العلماء والفلاسفة من الكنيسة فى أوربا ، و مثّل التنوير الغربي الذي يعتمد على تمجيد العقل والفصل بين الدين والحياة - العلمانية – نوع من هذا التطور.

٢- تبين لنا أن صعود الفكر التنويري العلمانى فى المجتمع الإسلامي ، كان فى ظل الاستعمار الغربى وحمايته لحركات الاستشراق والتبشير ، التى كانت لها آثار سيئة فى البيئة الإسلامية ، والتى كان من أخطرها اصطناع كوادر من العلمانيين العرب المستغربين الذين تخرجوا فى الجامعات الغربية التى ابتعثوا إليها ، أو فى مدارس الإرساليات التبشيرية فى العالم الإسلامى ، وكان أبرز النماذج لهذه الخطة : نصارى الشام وجهودهم التى بذلوها فى الترويج لأفكار العلمانية والقومية.

٣- عرضنا لنماذج من هؤلاء التنويريين ، واتضح لنا سيطرة النزعة المادية على أفكارهم حول القرآن والوحى والنبوة والشريعة

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

والعقيدة ، وسعيهم إلى تقنيين فكرة العلمانية وتسويغهم للإلحاد العلمى ، تحت دعاوى حرية التفكير والعقلانية والاجتهاد ... الخ .

٤- ظهر لنا تمايز مفهوم التنوير فى الفكر الإسلامى عنه فى الفكر الغربى من حيث أنه يعنى الكشف والظهور والبيان والتفسير، وأنه يستمد من مصادر الإسلام الأصيلة، فالله نور ، والرسول نور والقرآن نور والإسلام كله نور وتنوير .

٥- تبين أنه يوجد تنويرٌ إسلامي، لكن ليس فيه نزعة إنسانية مفرطة ، لأن التنوير الإسلامي لا ينبع من الإنسان ، وإنما يصدر عن الإسلام ممثلاً في القرآن والسنة ، حيث إنه لا يعرف العقلانية المفرطة التي تنتهي إلى تأليه العقل ، بل هي عقلانية مؤمنة تهتدي بنور النقل دون غلو أو شطط ، كما أنه لا يعرف الحرية المنفلتة من الضوابط الإيمانية والخلقية ، وبهذا افترق عن التنوير الغربي .

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

ثبت بأهم المصادر والمراجع

اولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: السنة النبوية المطهرة.

ثالثاً: مراجع متنوعة:

١- ابن رشد ومستقبل الثقافة العربية – بحث للدكتور / عاطف العراقي – ضمن كتاب ابن رشد والتنوير –

٢- الاستشراق واستقلال السؤال الفلسفي دراسة في مشروع أركون: الشريف زروخي، مجلة العلوم الاجتماعية، عدد ١٨، يونيو ٢٠١٤م.

٣- الإسلام بين التنوير والتزوير د / محمد عمارة دار الشروق الأولي سنة ١٩٩٥م وط ٢ سنة ٢٠٠٢ م

٤- الإسلام والتنوير د / محمود حمدي زقزوق، مجلة منبر الإسلام السنة ٥٨ العدد ١٢ ذو الحجة ١٤٢٠ مارس ٢٠٠٠ م .

٥- الاقتصاد في الاعتقاد: الإمام الغزالي، مكتبة الجندي، بدون تاريخ

٦- تاريخ الفلسفة، د/ محمد عزيز نظمي سالم مؤسسة شباب الجامعة ط أولى بدون تاريخ

٧- التأويل الحداثي للتراث: التقنيات والاستمدادات، إبراهيم بن عمر السكران، ، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١/١٤٣٥هـ-٢٠١٤م

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

٨- تراثنا التنويري وضرورة التجديد: د / حسن حنفي، مجلة الوعي المعاصر، العدد ٨ ، ٩ سنة ٢٠٠٢م .

٩- التقدم والإصلاح بالتنوير الغربي؟ أم بالتجديد الإسلامي: د / محمد عمارة، دار الشروق الأولي سنة ١٩٩٥

١٠- تنوير الأفهام في تغذي الأجسام – علي باشا مبارك – القاهرة سنة ١٣٠٣ هـ

١١- التنوير الإسلامي في المشهد السعودي : عبد الوهاب بن عبدالله آل غظيف ، ، مركز التأصيل للبحوث والدراسات ط١ ، ٢٠١٣م

١٢- تنوير الحلك في رؤية النبي والملك - جلال الدين السيوطي – ط/ القاهرة سنة ١٣٢٨ ه

١٣- تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك للسيوطى ط/القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ ،

١٤- التنوير الزائف : د/ جلال أمين دار المعارف سلسلة اقرأ رقم ٦٤٠ .

١٥- خارطة التنوير من التنوير الغربي إلى التنوير الإسلامي- أحمد سالم- مجلة البيان.

١٦- الخطاب العربي المعاصر: محمد عابد الجابري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، دار الطليعة، بيروت، مايو ١٩٨٢م.

١٧- الصوت والصدي د احمد عبد الحليم عطية ، ط دار الثقافة للنشر والتوزيع مصر ط١ سنة ١٩٩٠م.

١٨- ضحي الإسلام الأستاذ أحمد أمين ط مكتبة النهضة المصرية ط ٩ ، سنة ١٩٧٧م

١٩- العقل والتنوير د/ عاطف العراقي ط/دار قباء للطبع والنشر – القاهرة – ١٩٩٨.

٢٠- العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، د/ عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، ط ٢٠٠٢م.

٢١- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي :د/ محمد البهي ط / مكتبة وهبة – الثالثة عشرة سنة ١٩٩٧ .

٢٢- الفكر الإسلامي المعاصر مقوماته ومعالمه ، رسالة دكتوراه ،د/ صبري موسى سليمان ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

٢٣- فكرة حركة الاستنارة وتناقضاته- عبد الوهاب المسيري، طبعة نهضة مصر، الطبعة الأولي ١٩٩٨م.

٢٤- فلسفة التنوير بين المشروع الإسلامي والمشروع التغريبي د/ محمد السيد الجليند ، ١٩٩٧م.

٢٥- فلسفة العلم في القرن العشرين، د/ يمنى طريف الخولي ، عالم المعرفة، الكويت، ديسمبر ٢٠٠٠م.

٢٦- الفلسفة بنظرة حضارية، د/ محمد مجدي الجزيري ، بروفيشنال للإعلام والنشر، القاهرة (ط١ ١٩٨٤م).

٢٧- الفلسفة والإنسان ، د/فيصل عباس ، دار الفكر العربي ، بيروت، الطابعة الأولى ١٩٩٦م.

٢٨- في الفلسفة العامة، نحو رؤيةٍ جديدة في ما وراء الطبيعة، د/علي أبو ملحم ، دار العلوم العربية، بيروت، ط١ ١٩٩١م.

٢٩- القاموس المحيط – الفيروز آبادى ط / مصطفي البابي الحلبي – الثانية لسنة ١٩٥٢ م .

٣٠- قضايا التنوير من منظور تأصيلي : محمد حسين فضل الله ، مجلة الوعي المعاصر عدد ٨ ، ٩ سنة ٢٠٠٢م .

٣١- ما هو التاريخ كارل إدوارد ترجمة : ماهر كيالي، المؤسسة العربية، بيروت ١٩٨٠م

٣٢- مجلة الوعي المعاصر، مقال بعنوان: الواحدية المستبدة وثورة التنوير، حسين أحمد شحادة عدد ٨ ، ٩ السنة الثالثة ٢٠٠٢م.

٣٣- مدخل إلى التنوير د / مراد وهبة دار العالم الثالث مصر ط ١ سنة ١٩٩٤م .

٣٤- مدخل إلي التنوير: د/ مراد وهبة : ، مجلة اليقظة العربية عدد مارس ١٩٩٠

٣٥- مصادر الإبداع بين الأصالة والتزوير د/ عبدالعظيم المطعني ط/ مكتبة وهبة الأولي سنة١٩٩٩م .

٣٦- المعجم الفلسفي: جميل صليبا ط دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٨٢ م،

٣٧- المعجم الفلسفي الصادر من مجمع اللغة العربية، ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٨٣.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

٣٨- المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية .١٩٨٣

٣٩- التنوير معالمه اسسه وغاياته مركز التأصيل للدراسات والبحوث ١٤٣٥ هـ

٤٠- مقال بعنوان: تراثنا التنويري وضرورة التجديد، د/حسن حنفي، مجلة الوعي المعاصر عدد ٨، ٩ ٢٠٠٢م.

٤١- مقال تطور الفكر الديني الغربي " الإنسان والله " د / حسن حنفي ، الجمعية - الفلسفية المصرية ، السنة السابعة العدد السابع ١٩٩٨م .

٤٢- من تاريخ الإلحاد في الإسلام د/ عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط٢ ، ١٩٨٠م

٤٣- ملاك الحقيقة المطلقة: مراد وهبة مكتبة الأسرة عام ١٩٩٩م

٤٤- هدم الإسلام بالمصلحات المستوردة (الحداثة والأصولية) د/ زينب عبد العزيز– دار الأنصار لسنة ١٩٩٦ م.

٤٥- هل أزف عصر الإصلاح الديني في العالم العربي؟، هاشم صالح، موقع مؤمنون بلا حدود- قسم دراسات وأبحاث، في ٢٠١٣/١٠/١م.

٤٦- اليقظة الفلسفية المغربية ودرء آفة التقليد د طه عبد الرحمن مجلة مدارات فلسفية، الجمعية الفلسفية المغربية الرباط عدد ١ ، ١٩٩٨م ص ٩٧، ٩٨.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

فهرس الموضوعات

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg